علي بن إبراهيم النملة

مسارات الاستشراق
من الانتفاضات إلى الانتفاضات
مسارات الاستشراق
من الالتفاات إلى الاتفاق
علي بن إبراهيم النملة، 1437 هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
النملة، علي بن إبراهيم
مسارات الاستشراق: من الألفات إلى الالتفاف
علي بن إبراهيم النملة - ط - الرياض، 1437 هـ
255 ص; 14 سم x 21 سم
رقم: 5 - 1457 - 203 - 668 - 978

1 - الاستشراق والمستشارون 2 – آ العوان
نبوى 201295 / 1437 / 2562

رقم الإيداع: 1437/3562
رقم: 5 - 1476 - 203 - 669 - 978

الطبعة الثانية
1437 هـ / 2016 م
مسارات الاستشراق
من الالتقاط إلى الاتفاق

علي بن إبراهيم الحمد النملة
أستاذ الدراسات العليا
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بيسات
اسم الكتاب: مسارات الاستشراق: من الانتقادات إلى الاعتراف

الناشر: علي بن إبراهيم الحمد النهالة

الطبعة الثانية: مكان: (بتاير) 2017م

ISBN: 978 - 11 - 0 - 92897 - 0

جميع الحقوق محفوظة © بيسان للنشر والتوزيع

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اقتباس ماداته بطريقة الاسترداد أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت طباعة، أو ميكانيكية، أو بالصوت، أو بالتسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة الكتابية من الناشر ومقدمًا.

الأراء الواردة في الكتاب لا تعتبر بالضرورة عن اتخاذها ببنائها الناشر.

الناشر: بيسان للنشر والتوزيع

العنوان: بيروت - لبنان

العنوان: بيروت - لبنان

العنوان: بيروت - لبنان

العنوان: بيروت - لبنان

E-mail: info@bissan-bookshop.com

Website: www.bissan-bookshop.com

Facebook: بيسان للنشر والتوزيع

شبكة الألوكة - قسم الكتب
الفهرس

12 مقدمة الطبعة الثانية
21 التمهيد
29 الفصل الأول: التحديد الإجرائي للمصطلح
35 المصطلح المضطرب
42 التحديد الإجرائي
50 المسلمون الغربيون
53 الدراسات الشرقية
58 الاستشراق البلقاني
61 الاستشراق والتصغير
63 استمرار الحوار
71 الفصل الثاني: تقبلات في الدوافع
75 الاستشراق وتجسير الفجوة
الفصل الثالث: فهم الذهنية الغربية: الالتفات

1 - المسار الأول ........................................ 79

2 - المسار الثاني ................................... 80

3 - المسار الثالث .................................... 82

4 - المسار الرابع ................................... 84

5 - المسار الخامس ................................... 91

6 - المسار السادس ................................... 92

الفصل الرابع: الالتفاف على المصطلح

الاستشراق الألماني المتجدد .......................... 107

أسباب الالتفاف ........................................ 108

الفصل الخامس: مستشرقون ملتوفون على المصطلح

Namazh ........................................... 123

الالتفاف والتغيّرات ................................ 138

الفصل السادس: سمات الالتفاف على المصطلح

الاستشراق والأصالة ................................. 141

الاستشراق والإمبريالية ............................. 144

8

شبكة الألوكة - قسم الكتب
الاستشراق والماركسية .................................................. 150
نهاية الاستشراق .......................................................... 152
الفصل السابع: الارتباطات بالاستشراق .................................. 161
الفصل الثامن: خطبة الجمعة ............................................. 169
الفصل التاسع: إدوارد وديع إبراهيم سعيد ......................... 175
الفصل العاشر: برنارد لويس ........................................... 187
مراجع البحث ................................................................. 199
بسم الله الرحمن الرحيم

مهما بالغ المرء في موقفه الإيجابي من الاستشراق، أو تلك المعرفة التي ينتجها الغرب عن الشرق العربي خاصًة، ومهما أسرف في تقديره لإنجازاته المعرفية في الجانب الأكاديمي - والبحثي منه - فإن الاستشراق القديم والحديث يظل مُنتجًا إنسانيًا محكومًا بظروف المواجهة بين منتجها (الغرب) موضوعها (الشرق)، وبأهواء أصحابها وأفكارهم المسبقة وبمصالحهم الدنيا، في عالم تجففه المصالح الملتوية لا القيم والمبادئ».(1)

عبد الرحمن الوهبي

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين وصلواته وسلامه على سيد
المرسلين محمد بن عبده الله وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه
بإحسان إلي يوم الدين، وبعد;

فمنذ صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب بعنوان: الانتفاضة على الاستشراق: محاولة تناسب من المصطلح، عن
مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض سنة 1428 هـ/2007م
والاستشراق لا يزال يعمر على الساحة العربية والإسلامية بين
أخذ ورد. فمن قائل إنه قد انتهى عصره التقليدي/ الكلاسيكي,
وإننا دخلنا في حقبة الاستشراق الجديد أو المتجدد (neo-
Orientalism) أو حقبة ما بعد الاستشراق، حيث غيّر من منهجه
وتركيزه، فطبق يُعتني بالحاضر بما فيه من مشكلات سياسية
واجتماعية، أكثر من عانته بالقرآن الكريم وسنة المتصفي
وسيرته والتراث العربي الإسلامي. ولم يُعتني بالماضي
العربي الإسلامي بتراثه وعاداته وتعليمه ولغاته، كما كانت
اهتماماته السابقة.
ويقال هذا الطرح يوجّه لهذا العهد الجديد من الدراسات الاستشراقية عند كثير من المعزينيين بنقد الاستشراق بصدور كتاب الاستشراق لـ إدوارد وديع إبراهيم سعيد (1978م)، الذي عني بالاستشراق السياسي ورابطة بالإمبريالية الأمريكية تحديدا، فوافق هو في النفس على ما يبدو من كثير من المعزينيين العرب والغربيين، لا سيّما في عهد انتقال شيء من الاستشراق العريق من أوروبيًا، حيث الأصالة والعمق في البحث إلى أمريكا، حيث الحداثة المطلقة عن الماضي، وغلاب العجلة والتسليط في الفن إلى النتائج، وانتشار الاستشراق السياسي والصحفي الإعلامي، واستشراق الفضائيات التي تقوم على "كبسولات" معرفية إعلامية سريعة، وتنهج إلى استنفاذ الأشخاص بما يريد الفضائيات أن يقولوه، لا بما يريدون هم أن يقولوه.

ومع هذا فقد سبق دراسة إدوارد سعيد عددً من الطرادات التي توفرت أفل الاستشراق التقليدي، في ضوء التفاصيل العربية والمسلمين للفكر والثقافة والمعرفة العربية والإسلامية، وظهر مؤسسات بحثية تُعنى بتأريخ الآلّة وتراثها، وتخرج كُنُوزها من مكتبات العالم بالاسترداد أو بالتصوير، وتحقيقها وتدرسها وتنشرها في البلاد العربية وبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر. أطروحة مثيل دراسات بعض المستشرقين الذين شعروا بالقلق من المصطلح، وأنه بدأ يفقد وجه وتأثيره الذي صيغ من أجله.
ومن هذه الدراسات التي كان لها تأثير قوي على مسار الاستشراق مقالة أنور عبد الملك حول كون الاستشراق في أزمة، بالإضافة إلى رؤي بعض المستشرقين أنفسهم الذين نعوا الاستشراق التقليدي، ودعوا إلى إعادة النظر في جوانب التركيز على المناطق التي يغلب على سكانها المسلمون، في ضوء حركة العودة إلى الدين "الإحبيانية"، منذ مطلع التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري، السبعينات من القرن العشرين الميلادي المنصرمين، وهذه الأحداث التي "تعصف" بالمنطقة، وتفتح مجالاتٍ شتى للدراسات التي قد تستغل الموقف المضطرب في المجتمع العربي والإسلامي، لا سيما مع استغلال المصطلحات الدينية في تسمية الجماعات المثيرة للقلق المحلي والدولي.

وأصل هذه الدراسة بحث قام لرابطة الجامعات الإسلامية وكلية دار العلوم بجامعة المنيا، بجمهورية مصر العربية، في المؤتمر الدولي الثاني: المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية. (١) ثم تطور بالمزيد من الإضافات، وتكربت مكتبة

---

الملك عبدالعزيز العالِم بالرياض بنَشره في طبعته الأولى سنة 1438 هـ/ 2007 م، وكتبت قد أنهيت إعداد تلك الدراسة المطورة سنة 1436 هـ.

وحيث مر على نشر هذه الدراسة في طبعتها الأولى ما يقارب عشر سنوات، رأيت أن أعود إليها وأسعى إلى تطويرها في ضوء التطور الذاتي في فهم الاستشراق خلال هذه المدة، وفي ضوء تطور مفهوم الاستشراق نفسه، وفي ضوء تلاحم الأحداث في المناطق التي يغب فيها المسلمون اليوم، وكثرة الإسهامات الاستشراقيّة في تحليلها ودراستها، لا سيما فيما هو علاقة بالاستشراق السياسي. لهذه الأسباب ومعها غيرها - رأيت أن أعود إلى مفهوم الانتقاف على الاستشراق والنظر في استمرار محاولات التنصل من المصطلح، بعد رحلة طويلة معه كانت تختلِّ بالإنجاز العلمي وال الفني.

ورأيتني قد أكملت في الطبعة الأولى من هذا الكتاب موضوعين لا تظهر العلاقة بينهما وموضوع كتاب.

أحدهما مفهوم الاستغراب، الذي ظهر في عمل مستقل نشرته المجلة العربية التي تصدر في الرياض ضمن سلسلة كتاب المجلة (1) ثم أضيفت إليه قائمة ورائقة عن نواة الاستغراب.

الدنيي في التراث العربي القديم والمعاصر، ونشرته في بيروت، بعد الاستنذان عن رئاسة تحرير المجلة العربية. (1)

وقد ظهرت لي العلاقة بين البحث في الاستشراق والالتفاف عليه ودراسة الاستغراب، إذا كان المقصود هو النظر في الثقافة العرب والمسلمين لتراثهم وثقافتهم، مما وَلد الإصرار على الخروج من أزق الاستشراق والثقافة العرب والمسلمين إلى فهم أعمق للغرب في معانيه الدينية والثقافية والاجتماعية والأنthroپولوجية، على اعتبار أن هذا الفهم يُفضّي إلى مزيد من التواصل الحضاري، ومن ثم التخفيف من حدّة هذا الشذّ في العلاقات الحضارية. (2)

والموضوع الثاني الذي استبعدته من هذه الطبعة هو موضوع النهايات وكتبت قل أفتحته في الطبعة الأولى; لمناسبة الزعم بنهاية الاستشراق. وادي لي ألا علاقة له بموضوع الالتفاف على الاستشراق، ولا يخدم هذا الموضوع الخاص، فاستغنيت عنه في هذه الطبعة.

كما استغنيت عن الوقفة الرابعة من الطبعة الأولى، وكانت

(1) انظر: علي بن إبراهيم النحاس، كَنَّه الاستغراب: المنهج في فهمنا الغرب، ط. 2، بيروت: مكتبة بيسان، 1961، ص 375.

بعنوان: نقد الاستشراقي؛ لأنني أفردت هذه الوقفة في كتاب مستقلٍ.

ثم إنني أبقيت على الحديث عن عنصرين فكريين، كان لهما أثر في موضوع الالتفاف والالتفاف، وهما كلٌ من إدوارد سعيد وبرنارد لويس. فالواو كان محفرًا للالتفاف، والآخر كان داعيًا للالتفاف. ولم يكونا وحدهما في هذه الساحة، بل ربما يُعدان من أبرز العناصر التي أسهمت في هذا الموضوع، من دون إغفال جهود الآخرين من الطرفين، مثل أنور عبد المالك وسميح فرسون وحسن حنفي ومازن مطبقي وعمرهم من جهة، وجهاد أندر ميكيل وندادا أنجيليسكو وشرفاليه وجون إسبوزيتو وغيرهم من جهة ثانية. وسيرد التفصيل في هذا في ثنايا هذه الدراسة.

وكان الحديث عن هذين العنصرين: إدوارد وديع إبراهيم سعيد وبرنارد لويس، مُلحقين في الطبعة الأولى، ثم جعلتهما في سياق الدراسة، بعد إعادة دراستهما في ضوء ما ورد ذكره أعلاه من تطورات. كما أنني غيّرت عنوانات الوقف إنتقل إلى الفصول، إذ أعطى مني أنها أقرب إلى الفصول واقوى من الوقفات.

(1) انظر: علي بن إبراهيم النملة. مراجعات في نقد الفكر الاستشراقي حول الإسلام والقرآن والرسالة. ط 2. بيروت: مكتبة بيسان، 1985/1435هـ.

250 ص. 2014.
وعند إعداد هذه الطبعة عُثرت على كتاب مترجم للمستشرق الهولندي جان دي جاك واردنبرغ بعنوان «المستشرقون». وهو ترجمة لإسهامه في الطبعة الثانية من دائرة المعارف الإسلامية الصادرة عن بريل في لايدن بهولندا، ترجمها أنس عبد الخالق محمود، فأفادت من هذه الإسهامات فائدة ملحوظة، ظهر أثرها في كثرة الاستشهادات والاقتباسات منها (24 استشهاداً). وفيها دلالات على ما سيأتي نقاشه من التحوّل في نظرة المستشرقين للإسلام ولأبنائهم.

وقد أكثرت من الاقتباسات والاستشهادات، بما في ذلك الاستشهاد الذاتي، لذا يُعيّن على توثيق المعلومات الواردة في هذا الكتاب، بحيث وصلت المراجع إلى مئتين وثمانية وأربعين مرجعًا عربيًا وإنجليزيًا. ويذكر أهل النفس المعنيون بالاستشهادات المرجعية والباحث محضوب منهم - أنه كلما كثرت الاستشهادات، لا سيّما الاقتباسات منها، دلّ هذا على محدودية إسهام المؤلف الإبداعي في العمل الذي أعدّه. وهذه تهيئة لهذا العمل لا يملك الباحث أن يتبرآ منها.

ولا أسنى أني عندما عرَّفت هذه الدراسة في مسودتها الأولى على نخبة من أهل العلم والفكر، ممن أثّق بطرحهم وأستأنس برأيهم، أنبرى واحدٍ منهم - وهو عزيز - وقَّل من شأن البحث في هذا الموضوع، وزاد على هذا التقليل من هذا الموضوع ذاته التقليل من شأن الخوض في موضوع الاستشراق جميلة، على أنه موضوع عائمه لا أول له ولا آخر.
ولولا أنتي أثق بهذه الرؤية ومن يراها ما أوردتها؛ لأنها تعبر عن موقف من الاستشراق ودراسته وتفنيد مواقفه وردّ مشاربه ومحاورة أساتذته. ولا ينفرد بهذا الموقف، هذا العالم أو ذلك المفكر، بل قالها من قبل، ثم عاد بعضهم وكتب عن الاستشراق مفهّماً.

وإذا أقّدمت هذه الطبعة الثانية لا أنسى إرجاع شكري وتقديري لمكتبة الملك عبدالعزيز العامّة بالرياض والعاملين فيها على نشرها الطبعة الأولى من الكتاب. ولمعالي الأستاذ فيصل بن عبدالرحمن المعمر المشرف العام على المكتبة وسعادة الدكتور عبدالكريم الزيد مدير عام المكتبة وزملائه ومن الشرك والتقدير على نشر الكتاب ابتداء، ثم على السماح لي بإعادة نشره خارج المكتبة ثانٍ.

كما أشكر سعادته الأستاذ الدكتور محمد عبدالرحيم محمد، عميد كلية دار العلوم السابق بجامعة الامام بجمهورية مصر العربية، على قبوله نشر نواح هذه الدراسة ضمن أبحاث المؤتمر الدولي الثاني حول المستشرقين والدراسات العربية، بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية وأمينها العامّ الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام، وأشكره كذلك على قبوله الورقة ونشرها.

وكان الله في عون الجميع.

علي بن إبراهيم الحمد النملة
الرياض 1437هـ/ 2016م
التمهيد

يُسأل بعض المتابعين عن جدوى دراسة الاستشراق وإسهاماته، وما الذي تضيفه هذه الدراسات إلى علوم المسلمين؟ وهذا السؤال يوحي بعدم جدوى دراسة هذه الظاهرة أو الحركة أو العلم (Orientology). (1) وهذا الإيحاء نابع من فكرة مسبقة عن المستشرقين من أنهم لم يكونوا - على أي حال كانوا عليها - يقصدون من وراء دراساتهم خدمة الإسلام وعلوم المسلمين. (2)

____________________


لقد ضاق صدر بعض المتابعين من المختصين في نقد الاستشراق من كثرة ما يكتب عن الاستشراق من غير المختصين، وعدداً هذا نوعاً من اللجوء إلى التوليف السريع. وفي هذا يقول السيد محمد الشاهد، وهو الضابط في الدراسات الاستشراقية: "كثر الحديث في العقودين الأخيرين من هذا القرن العشرين عمّا يسمى في بلادنا "ظاهرة الاستشراق". شارك فيه المتخصصون وغير المتخصصون، من يعرف لغات الاستشراق ومن لا يعرفها، فجاء معظم الحديث نقولاً عن نقول، أخذت عن ترجمات فيها الصواب والخطأ، وأصبح ميدان الاستشراق أو كاد حلاً لمن أراد التأليف السريع، لا يتطلب من طالب سوى جمع بعض ما سبق، وتوليفه وتزويجه بعناوين جذابة ترضي ذوق متوسطي الثقافة". (1)

يؤكد السيد الشاهد على أن الباءث لهذا التوجه هو الاعتقاد بأن الاستشراق إنما ظهر للفكر والصراع والمقاومة الاحتلال والسياسة والتصحر، فحسب. وهو اعتقاد سائد بين من سمّاه الشاهد بـ "متوسطي الثقافة", ممن أسهموا في نقد الاستشراق وارتباطاته. وهو سائد كذلك بين المثقفين أنفسهم من الشرقيين والغربيين، فلا إنساك لهذه الارتباطات وكأن بينها عقدًا - كما

يعبر الباحث سالم حميش (1) لعلمائها من الأسباب التي دعت إلى إعادة النظر في المصطلح على ما سيأتي بيانه.

ويضيف المبروك الشبياني المصوري في هذا المنحى قوله: "وأغلب الذين كتبوا في الاستشراق بصفته تحقيقًا من تحققات الثقافة الإسلامية، من غير المختصين احترامًا دقيقًا في هذا المشغل في الكتب التجارية التي دمرت الثقافة الإسلامية وتحقيقاتها، ينتمون إلى هذا الصف (الذي يعدون الاستشراق ذا لون واحد كله لا تماثيل في مناطقه وأسسهم وقوامه ونتائجهم، أو يقسمون الأبحاث الاستشراكية معاييًا تقسيماً غير علمي وغير دقيق إلى استشراق منصف واستشراق معرض أو تشبيهي)، وتعمق كتاباتهم بهذا النوع من الاحترام المخلّ. وكثير من تلك الكتابات اعتمدت في المقررات الد压缩 في عدد من الجامعات العربيّة" (2).

ما دامت هذه الانطباعات المسبقة موجودة فإن النتائج التي سيتوصّل إليها دارسو هذه الظاهرة لن تخرج عن إثبات عدم إنصاف المستشرقين لعلوم المسلمين ولرجال الإسلام والإسلام.

٢٣

(1) انظر: سالم حميش. الاستشراق والعقد الاستعماري. الاجتهاد، ٢٣٢ (ربع عام ١٤١٤ ه/١٩٩٤ م)، ص. ١٩٧-٢١١.

(2) انظر: المبروك الشبياني المصوري. صناعة الآخر: المسلم في الفكر الغربي المعاصر، من الاستشراق إلى الإصلاحوفوريا. بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٤ م، ص. ٤٩-٥٠.
نفسه. ويري طارحو هذا السؤال ترسيح هذا المفهوم، من دون التمثَّل في قضاء مزيد من الجهد والوقت في إثبات ما ثبت سلفًا، فكان للมหาوي نصيبٌ واضح في كثير من الدراسات النافذة.

رغم ما قد يبدو على هذه النظرة من شيء من الوجاهة، وأنها لا تخلو من الحقّ في زاوية من زوايا الدراسات الاستشراقية، إلا أنها تحتاج من المتخصصين إلى مزيد نقاش، لعلّه يكون امتدادًا لمحاولة التوكيد على أن الاستشراق ظاهرة أصبحت متعدّدة الارتباطات الموضوعية.

يقول شكري النجار: «لقد حاول الكُتّاب المتأخّرون أن يتخلّصوا من الخيالات والأوهام التي كانت تسبر على الكُتّاب الأوائل، حين يكتبون عن الشرق، وأن يكونوا أكثر موضوعية وإيجابية، كما لم يعودوا يقتلون أحاديثًا لا وجود لها في الواقع، كما كان يفعل «فلوربو» مثلاً. ولكن هذا لا يعني أن هؤلاء الكُتّاب المتأخرين قد وصلوا إلى الموضوعية العلمية، كما يزعمون» (1)

وحيد من المستشرقين من يقول شيئًا عن القرآن الكريم

---

(1) انظر: شكري النجار. لم الاهتمام بالاستشراق، الفكر العربي. د. 31 (كانون الثاني (يناير) - آذار (مارس) 1983). ص 60 - 69. والنص من ص 25.
ومصدره وكونه من تأليف محمد بن عبد الله، وعن الفقه الإسلامي وتشابهه من القانون اليوناني والروماني. (1) ووجد من يقول أشياء عن تاريخ المسلمين، ويفسرونه تصويرًا ماديًا اقتصاديًا، بعيدًا عن تزعم الانتقاء العقلي. وبهذا الحال مع الفتوح والغزوات وانتشار الإسلام.

ووجد من يقول شيئًا عن رجال الإسلام، من رسول الله محمد بن عبد الله، وزوجاته أو أمهات المؤمنين، والخلفاء الراشدين والصحابة والولاة والخلفاء الذين خلفوا الرافضين على الأمية.

ووجد من يقول أشياء عن علماء المسلمين، منهم برزوا في الفقه أو في العقيدة أو في كتابة التاريخ أو السير، أو منهم برزوا في العلوم الطبيعية والبَحْث الاحترافي، حتّى وصلوا إلى كتاباتهم إلى التشكيك ببعض أعلام المسلمين الإيجابيين، مثل جابر بن حيّان مثلًا، والأعلام السلفيين في المجتمع المسلم الذين كان لهم أثر سببه في وحدة المسلمين، من مثل عبدالله بن سبأ، وصدرت الدراسات التي تقول إنهم مغرب أسطوريين.

يذكر عمر فروخز - رحمه الله تعالى - أن بعض المستشرقين يتحدثون بإيجابية مثلًا عن الإسلام وأهله، حتّى يصلوا إلى سيرة

(1) انظر: علي بن إبراهيم النملة، موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، 1433 هـ، 2012 م. - ص 87.

٢٥
سيد المرسلين محمد بن عبد الله، فنجدهم لا يستطيعون إنصافه - عليه الصلاة والسلام - ولا يخرجون من الحديث عنه إلا بعد أن يضعوا شيئا في سيرته مما ينبغي عن عدم اعترافهم ببوعه.

لهذا التعلّد في الاهتمامات لدى المستشرقين أصبحت دراستهم دراسة متعدّدة الارتباطات. فيدرسهم المهتم بالدراسات القرآنية، ويدرسهم من يهتم بنسب الرسول، وتدرسهم الأقسام التي تركز على التاريخ والحضارة. ويُدرسون في أقسام العقيدة، وفي أقسام الثقافة الإسلامية، وفي أقسام الجغرافيا، وفي أقسام علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، وفي أقسام المكتبات والمعلومات، بل وفي أقسام أخرى علمية، وفي الأقسام التي بدأت تهتم بتاريخ العلوم وتتطور فنون المعرفة.

كلٌ قسم من هذه الأقسام العلمية يدرس إسهامات المستشرقين من الزاوية التي كان لهم أثر فيها، في مجال تخصص الفرع المعرفي نفسه. وعليه فإنّه لا يستغب أن يبرز الاهتمام بهذه الظاهرة من زوايا عديدة لأنّه بدأ أن هذه الظاهرة ذات ارتباط بكثر من العلوم، ولا تكوار هنا عندما يُدرس

исследования

(1)...

(2)...

(3)...

انظر: علي بن إبراهيم النملة. نقد الاستشراقي المستشرقين في المراجع


الفصل الأول

التحديد الإجرائي للمصطلح

دخل مصطلح "الاستشراق" القاموس الإنجليزي سنة 1204 هـ الموافق 1791 م.، والقاموس الفرنسي سنة 1245 هـ الموافق 1831 م. (1) بينما يرى آرثر آربري بدايات إطلاق مصطلح "مستشرق" سنة 1283 هـ 1867 م، وليس سنة 1230 هـ - كما ينقل المبروك الشيباني المنصوري - (2) عن محمد إبراهيم الفيومي في كتابه الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، (3) حيث أطلق على أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية.

(2) انظر: المبروك الشيباني المنصوري. صناعة الآخر: المسلم في الفكر الغربي المعاصر، من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا. - مرجع سابق. - ص 55.
واستعمل أنطوني وود (1632 - 1695 م) عبارة «استشراقي نابه» سنة 1691 م عند حديثة عن الفيلسوف البريطاني الإنجليزي كارل كلارك (1765 - 1729 م)، لأنه عرف بعض اللغات الشرقية. ويثابث الشاعر البريطاني الرومانسي اللورد جورج جوردون بايرون (1788 - 1824 م) عن تورنتو وإلماعاته الكبيرة الدالّة على استشراق عميق، قالها بايرون في تعليقاته على رحلة تشارلد هارولد (1812 - 1818 م).

ومع هذا يقرّ المستشرق الهولندي جان دي جاك واردنبيرغ أن مؤسس الاستشراق الغربي هو المستشرق وال💖 الشاعر والرياضي الإسباني رايموند لول «ريموندوس لولوس» (1235 - 1314 م)، حيث أقنع مجمع فينا بين سنتي 1294 - 1300 م في إنشاء كراسي اللغات، ومنها كرسيّان للغة العربية والعبرية في خمس جامعات أوروبية، هي روما وبولونيا ونابيس وأكسفورد وسالزمانكا. (2) فتكّلّت جهوده بالنجاح سنة 1311 - 1312 م حينما أقرّ مجمع.

---

(2) انظر: جان دي جاك واردنبيرغ، المستشرقون/ ترجمة نيس عبد الخالق المحمود: بيروت: المؤسسة العربية للأبحاث والنشر، 1435 هـ/ 2014 م، ص. 11.
فينا الكنسي هذه الكراسي. وقيل ذلك أسس رايموند لول نفسه بين سنتي ۱۲۷۶ - ۱۳۱۱م مدرسة للغة العربية للمنضرين المستقبليين في ميرمار في مابورقا. (۱)

ثمّ يعود وارنبرغ ليجعل من إسبانيا الرائدة للدراسات الاستشراقية بالمعنى الحديث. وكان ذلك من خلال نشاط الترجمة الذي بدأ في طليطلة سنة ۱۰۸۵، وهي السنة التي سقطت فيها المدينة بيد الإسبان، بتشجيع من دون رايموند (رئيسي الأساقفة من ۱۱۲۵ - ۱۱۵۱م). وكان هذا النشاط معنيًا بالدرجة الأساس بترجمة النصوص العلمية والفلسفة المطلوبة في أوربا من العربيّة إلى اللاتينية. (۲)

وذكر محمد حسن زماني أن المصطلح orientalist استخدم في مطلع سنة ۱۷۶۶ في موسوعة لاتينية لوصف الأب بولينوس. (۳) ثم يذكر أنه طبقًا لوجهة نظر بعض الكتّاب استُخدم لأول مرة في إنجلترا سنة ۱۷۷۹ أو سنة ۱۷۸۰م. ثم دخل المصطلح اللغة الفرنسية سنة ۱۷۹۹م.

وفي سنة ۱۸۱۲م دخل المصطلح قاموس أكسفورد على أنَّ

(۱) انظر: جان دي جاک وارنبرغ. المستشرقون. - المراجع السابق. - ص ۲۱.
المستشرق هو من "بُحْر في لغات الشرق وأدابه". (1) وفي عام 1834 دار جدل حول التعليم في الهند فكان الذين نادوا بالتعليم والأدب الهنديين يستمرون مستشرين، بينما سُمي معارضوهم الذين رغبوا في أن يكون التعليم بالإنجليزية "متجلزين". (2) ويتبع التعليم فرض القيم والمعايير البريطانية. (3) وفي عام 1838 دخل المصطلح معجم الأكاديمية الفرنسية. (4)

وعلى المستوى العربي يظهر أن المصطلح لم يظهر على السطح إلا مع بدايات العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري 1340 - 1350 هـ تقريبًا، العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي 1920 - 1940، حيث ظهرت بعض الإسهامات في المجلات المرموقة في ذلك الزمان كمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ومجلة الرسالة ومجلة الهلال ومجلة المشرق البيروتية، وغيرها. وقد تهيئة لي أن أقوم برصد ما كتب باللغة العربية حول الاستشراق في خمسة

---

(1) انظر: آ. ج. آربي. المستشرقون البريطانيون. - مرجع سابق. ص 8.
(2) انظر: آ. ج. آربي. المستشرقون البريطانيون. - المرجع السابق. ص 8.
(3) انظر: جان دي جاك، واردنبيرغ. المستشرقون. - مرجع سابق. ص 43.
(4) انظر: محمد حسن زماني. الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى العربيين. - مرجع سابق. ص 41 - 42.
كتب حسب الموضوعات، مما يمكّن من ملاحظة الإنتاج الفكري المنشور بحسب سنوات النشر. (1)

وباستعراض الكتاب الأول من هذه المجموعة «نقد الاستشراق والمستشرين في المراجع العربية» (2) وجدت أنه نشر في ذلك الوقت حوالي عشر مواد فقط في العشرينات، وحوالي أربع وعشرين مادة في الثلاثينات، ما مجموعه 1293 مادة في الكتاب الأول فقط، ولا يكوّن هذا العدد (34 مادة) أكثر من 3، 01%. وهكذا تبدأ الإسهامات في ازدياد في الأربعينات والخمسينات والستينات ثم السبعينات. ويمكن المضي في هذا النوع من الدراسة الكبيرة «البليومترية» مع بقية الكتب الخمسة وغيرها مما لم يتم رصده.

إنَّ المصطلح نفسه فلم تذكره المعاجم العربية القديمة.


(2) انظر: علي بن إبراهيم النيلة. نقد الاستشراق والمستشرين في المراجع العربية. - مرجع سابق: 332 ص.
ولعل أول إشارة ترد عن الاستشراق أو أحد من مشتقاتها هو معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا (1389 - 1372 ح / 1872 - 1953 م)، الذي يورد فعلها "استشراق" وأن معنها "طلب علوم الشرق ولغاتهم". وهي كلمة "مولودة عصرية" تُقال لمن يعنى بذلك من علماء الفرنسية. (1) وكان من المتوقع أن يذكره المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية في القاهرة، لكنه لم يرد فيه.

مع أن نص مرسوم إنشاء المجمع الذي أصدره الملك فؤاد الأول عام 1351 ه / 1932 م قد ورد فيه "أن يتكوّن المجمع من 20 عضوًا من العلماء المعروفين ببحاثهم في اللغة العربية، نصفهم من المصريين، ونصفهم الآخر من العرب والمصريين". (2) فورد المصطلح في المرسوم سنة 1351 ه / 1932 م على أن يكون ربع عدد أعضاء المجمع من المصريين.

ولعل هذه الإلمحة تتفق مع ما ذكره محمد الدعيمي من أن مصطلح الاستشراق لم يبرز بكثافة إلا بعد نهاية السبعينات من القرن العشرين. وهو الذي دعا له المؤلف الدعيمي من "تكليف


(2) انظر: محاضر عام الاستشراق. ـ لم يذكر فيها الكاتب. على الرابط www.ckfu.org/vb/attachment.php?attachmentid=181942&d...

(3) 1437 / 11 / 10 - 26 / 10 / 2015 م. ـ 34
أحد باحثي الدراسات العليا في أيٌّ من جامعاتنا العربية الآن رصد بإحصاء عدد المرات التي ظهر فيها هذا اللقب منذ بدايات القرن العشرين حتّى أوائل الثمانينيات. (1)

وقد تهيب لي أن أقوم بهذا بجهد فردي محدود، دونما تكلف في جهة علمية كما ألمح الباحث محمد زماني، (2) مما يشجّع على المتابعة بالدراسة والتحليل للمواد الوردة في الرصد الواقعي "الببليوغرافى" في الكتب الخمسة، وغيرها مما صدر في هذا الموضوع.

المصطلح المضطرب

لا يتّقّع بعض المفكّرين المسلمين ممّا اهتمّوا بدراسة الاستشراق مع هذا المفهوم، فهذا عمر فروخ – رحمه الله تعالى – يقول: "المستشرق" لا يكون شرقيًا ولا عربيًا، مسلمًا أو غير مسلم. إنّ مولانا محمد علي الهندي، الذي نقل القرآن إلى اللغة الإنجليزية ليس مستشرقًا، بينما القس ج. م. رودولف، الذي نقل القرآن الكريم أيضًا إلى اللغة الفرنسية مستشرقان.


(2) انظر: محمد حسن زماني. الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين. مرجع سابق. ص 32. 27.
وذلك لا نعيد لويس شيخو، الذي سلك في التأليف وفي نشر المخطوطات وفي موقفه من الإسلام موقف المتحملين، لا نعده مستشرقًا لأنه شرقي الأصل عربي اللغة. ومهله فليب حتي الذي اعتنق الجنسية الأمريكية وعاش في الولايات المتحدة منذ سنة 1924 للميلاد وضع كتبه باللغة الإنجليزية، لا يعد من المستشرقين.

ونحن لا نعده طه حسين، وقد سلك في كتابة "الشعر الجاهلي"، مسلك المستشرقين، وكان في كتابه: مستقبل الثقافة في مصر أشد على العرب والمسلمين من نفر كثيرين من المستشرقين مستشرقًا. فالمستشرق إذن شخص عربي غير مسلم من أوروبا أو أمريكا يدرس اللغة العربية، وبعض جوهر الثقافة الإسلامية. (1)

ولا نعد من شطحوا فكريًا من العرب، فغادروا البلاد العربية وعملوا في مؤسسات علمية في الغرب، مستشرقين من مثل حسن الغرابي (1894 - 1995م) مؤسس الحزب الشيوعي في مصر، الذي غادرها قصراً سنة 1931م، ودرس اللغة العربية في بريتين. وإن عدت لهودميلا هانش مستشرقًا. (2)

(1) انظر: عمر فؤوح. الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة. ـ ص 126 - 172 ـ في: نخبة من العلماء المسلمين. الإسلام والمستشرقون. ـ مرجع سابق. ـ ص 511.

وذاك قول أقحم في عمر فرُّوتخ مستشرقين مع غير مستشرقين، فلويس شيخو وفيليب حتَّي بوجود التعريف الإجرائي مستشرقان. بينما طه خسين - بموجب هذا التحديد - لا يُعد مستشرقًا، ولو نزع الهوى عند بعض منتقديه إلى تصنيفه كذلك، أو أشد من ذلك. فقد قيل عنه إنه مستشرق من أصل عربي، وهو ليس كذلك، وإن تلبس لباس الاستشراق في أفكاره وتأثراته، وأطلق بعض التعبيرات التي توحى بقدر واضح من التأثير.

إذا تجاوزنا رأي عمر فرُّوتخ - رحمه الله تعالى - في عدم عد هذه الفئة من المستشرقين، باعتبار الجغرافيا «الجَهْرِيَّة» محددًا من محدودات المفهوم، وعَدنا إلى آراء تجيب العقلي ومصطفى السباعي وعبد الرحمن بدوبي ويوهان فوك وجوان دي جاك واردينغ وهلحم البيهي وأثر الجندي ونبت الشاطئ ومالك بن نبي وغيرهم، وجدنا في البلاد العربية مجموعة غير يسيرة من المستشرقين العرب ممَّن كتبوا عن الإسلام، وعن علوم المسلمين، أمثال «الأَب» لويس شيخو، وفيليب حتَّي، وجرجي زيدان، ممَّن تَوفِّوا، وغيرهم من الأحياء ممَّن يكتب عن الإسلام اليوم.

(1) انظر: أحمد نصري. بحوث في الاستشراق: قراءة في التاريخ والمجال والمال. ط. ٢. الرابط: دار القلم، ٢٠١٣م. ص. ٨٢.
يشير أن رأي عمر فُروخ رحمه الله تعالى - هذا ينطلق من هاجس تأثير المَدّ القومي باحتمال تعرضه وهو وزميله مصطفى خالدي ل النقد جارح من بعض نصارى العرب، بدعوی إثارة الطائفية بعد صدور كتابهما: التبشير والاستعمار في البلاد العربية. (1) يقولان: "أمّا نحن المؤلفين فسنسمع غداً إخوانًا لنا نحترمهم يقولون بعد صدور هذا الكتاب: عيبٌ على رجلين مثقفين أن يكتبوا مثل هذا الكتاب، في هذه الحقيقة من الكناح القومي. في هذه الحقيقة يجب ألا نذكر شيئًا من هذا، بل يجب ألا نذكر "كلمة" إسلام، أو نصرانية، ولا "كلمة" مسلم و"كلمة" مسيحي. (2)

قبل ذلك استخدم عبد الله النديم (1843 - 1896) لفظة الشرق بدلاً للفظة الإسلام، ابتداءاً عن رميٍ بنهبته التعصب الديني؛ بسبب من الظروف السياسي والفكري الذي عاش فيه. وانتهج عن ذلك استخدام مصطلح "الجامعة الشرقية"، وذلك في

(1) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد العربية.
(2) انظر: مصطفى خالدي وعمر فروخ. التبشير والاستعمار في البلاد العربية.
- المرجع السابق. - ص 27.
(3) انظر: محمد أحمد خلف الله. عذادلة النديم ومذكراته السياسية.
مقابل "الجامعة الإسلامية" التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني
وتلمذه محمد عبده من خلال مجلة العروة الوثقى.

على أنه لا يدخل في هذا المفهوم كتَّاب العربية النصارى
والمنتظرون النصارى، ممَّن يدعون للقومية العربية، أو يسعون
إلى الحَد من تأثير الإسلام على "الأمة" العربية، أمثال: ميشيل
عقل، ولويس عوض، وسعيد عقل، وميشال جحا وغيرهم
كثر من نصارى العرب.

يهم هؤلاء أن تحلل القومية العربية في البلاد العربية محل
الانتماء للإسلام. وهذا جانب مفهوم وإن لم تتفق معه؛ لأن
قصد هؤلاء جميعاً على أن إذا كان الأحوال أن يجتمع الناس
على اللغة، بدلاً من أن يجتمعوا على المعتقد، ما دامت اللغة
واحدة والمعتقدات مختلفة. ولكن واقع الحال أن الذين دعوا
إلى القومية العربية في الآونة الأخيرة قد تلقوا المبارك من أكبر
زعم روحيا في الفاتيكان. وتردّدت في أكثر من موقف عبارة

(1) انظر مناقشة هذه الفكرة في: الجامعة الشرقية: انتماة حضاري في مواجهة
الإسلامي؛ 2). وانظر أيضا: جمال الدين الأفغاني، الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محدثة عمارة، بيروت: 1981، 2، ص 244 و 249.
(2) انظر: سليمان موسى، عربي وليس مستشرق، العربي، 2، 88/88 (3).
قاله الزعيم الكبير "البابا" ليشيل عقله من أنه خدم الصليبية والسلام. وواقع الحال أن الصليبية ما جاءت بالسلام. (1)

من باب أولى ألا يُعد العلماء المسلمون من المستشرقين، وإن تبتوا نظريات المستشرقين ومناهجهم في القضايا الإسلامية والعربية، في الشريعة والعقيدة والأدب، من أمثال طه حسين، ومنصور فهمي، وعلي عبدالرازق، وطفي السيد، (2) وغيرهم - رحمهم الله تعالى - ممّن "استمالتهم أوروبا، قامتوا إليها، فهم أجانب منها، وإن تكلموا لغتنا، وسكنوا وطننا، بل وإن دانوا بدنيانا"، كما يقول عبد الله النديم. (3)

إلا أنّ مترجم كتاب إدوارد سعيد "خيانة المثقفين" أعدد حسين يُعرّف الاستشراق بما يوجي به التعريف الإجرائي للباحث، لكنه يقحم في التعريف العرب والمسلمين الذين نهجوا نهج المستشرقين. ويسعد نقل تعريفه للاستشراق هنا

(3) انظر: محمود مهدي الإستاني، طه حسين في ميزان العلماء والأدباء. بيروت: المكتب الإسلامي، 1983/1404 هـ. ص 172-177.
(4) انظر: محمد عمارة، الاتشام الثقافي. المرجع السابق. ص 77.
نصًا على: "إنه كلما ما يصدر عن الغربيين من إنتاج فكري وإعلامي حول قضايا الإسلام والمسلمين وفي الاجتماع وفي السياسة أو الفكر أو الفن، ويمكن أن نلحث بالاستشراق ما يكتبه تلامذة المستشرقين من العرب ممن ينظرون للتراث من منظور غربي". (1)

وقد أقسم مترجم كتاب خيانة المثقفين فئة الإعلاميين في مفهوم الاستشراق، مما يؤدي الفكرة التي تعتمد الميل إلى تسقط الاستشراق المتجدد (neo-Orientalism)، (2) لا سيما في نسخته الأمريكية، ثم يعود إلى تحديد مفهوم المستشرق بأنه: كل من يقوم بتدريس الشرق أو الكتابة عنه. وسمّى فعلى استشراقًا. وهو أسلوب من الفكر القائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق الروحي والغرب العقلي. كما هو أسلوب سياسي وإداري غربي لسيطرة على الشرق. (3)


(2) انظر: إدوارد سعيد، خيانة المثقفين: النصوص الأخيرة، مرجع سابق. ص 11-12.
وعلى وعلى رأي واردنبرغ «لم يكن المستشرقون محترفين كثيرًا جدًا، مثلما كان الرحلات والصحفيون والمؤرخون والتجار والساسيًا والخبراء العسكريين الذين — آيًا كانت نزاعاتهم الطبيعية قد قدموا ملاحظات واقعية ومعرفة عملية عن المجتمعات الإسلامية المعاصرة، التي غالبًا ما كانوا على علاقة معها لسنوات عديدة».

فإذا كانت هذه حال المستشرقين المعاصرين، مقارنةً بالفنانين

(1) انظر: جان دي جاك واردنبرغ. المستشرقون. مرجع سابق. ص. 58.
(2) انظر: جان دي جاك واردنبرغ. المستشرقون. المرجع السابق. ص. 78.
(3) انظر: جان دي جاك واردنبرغ. المستشرقون. المرجع السابق. ص. 58.
الذكرى في نصّ واردنبرغ فهذا ينذر فعلاً باختلاف جذري بين المستشرقين التقليديين (الكلاسيكيين) والمستشرقين المعاصرين. وأحسب أن هذا الحكم لا يصدق على إطلاقه، فلا يزال لدينا مستشرقون "جاذبون" وعميقون، لكن يبدو أنهم لجئوا بعيدون عن الأضواء والإعلام، ومنه الصحافة والإعلام الحديث.

التحديد الإجرائي

في محاولة لتحقيق مفهوم "الإجراءي" للاستشراق لتقريب نزعة الالتفاف على الاستشراق، يمكن القول بأنه إسهام علماء ومفكّرين غير مسلمين، شريقيين أو غربيين، في العلوم الإسلامية وفي تقاليد الشعوب الإسلامية وعاداتها وأدابها، بغض النظر عن وجهة هؤلاء العلماء الجغرافية، وبقطع النظر عن مكان الشعوب الإسلامية من الأرض، وعن اللغة التي تتكلمها هذه الشعوب، (1) بحيث يشمل المفهوم الآسيويين بعامّة والأفارقة والعرب من غير المسلمين بخاصّة. فكل عربي غير مسلم يتحدث عن الإسلام بالمنهجية التي يتحدث بها المستشرقون هو مستشرق.

ويذكر في هذا المفهوم النصارى العرب واليهود العرب الذين يبحثون في الإسلام وعلومه، وليس على الإطلاق، لتلاً يظهر ظان أن هناك محاولات لمصادرة عروبة اليهود والنصارى.
وهي عروبة لا تُصادر.

ويُستفْحِي من نقاش جان دي جاك واردنبرغ في كتابه "المستشرقون" تعريف بسيط وغير محدد، إذ يظهر تعريف المستشرقين في خمس كلمات على أنهم: هم أولئك الذين يدرسون الشرق، أو العلماء المتضطمون بالدراسات الشرقية.
والمعنى الأوسع عنه هو التوجه نحو الثقافة الشرقية، فيدخل من ضمنهم الرسامون والكتاب والأثاثيون. فهؤلاء هم المستشرقون الثقافيون. وهذا الإطلاق أوسع عند واردنبرغ من المستشرقين العلميين المتخصّصين باللغات والثقافات الشرقية.

وفي هذا التحديد الإجرائي حُضر للنقاش حول الاستشراق عمومًا، وحول المصطلح خصوصًا، وفيه احتراز عن التعميم في مفهوم الاستشراق لمجرّد حصره على هذا المفهوم الإجرائي. كما فيه قدر من الوضوح في الوصول إلى أحكام ذات علاقة مباشرة بإسهامات المستشرقين في مجالات المعرفة العربية الإسلامية في الشرق الإسلامي، من دون إلغاء الإسهامات الإسلامية في الغرب وعلى أيدي علماء مسلمين.

(1) انظر: جان دي جاك واردنبرغ. المستشرقون. - مرجع سابق. ص 11-12.
وفي مناقشات إدوارد سعيد لمفهوم الاستشراق ما يشير إلى هذا التحديد الإجرائي للاستشراق، حيث الشرق الإسلامي هو محور اهتمامه، رغم تعليمه الغربي في كل من فلسطين ومصر للتين كانتا محتلتين بريطانيتين، ثم تدريسه في الولايات المتحدة الأمريكية. (1) وكان نظف الشرقي محدداً بالشرق الإسلامي حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي. (2)

وهذا يعني ضرورة تحديد المنهجية الاستشراقية التي قادت المستشرقين إلى البحث في الإسلام. وهو مما يصعب تحديده إن لم يكن مستحيلاً؛ نظرًا لما للاستشراق من سمعة في الاهتمامات وكترة في الارتباطات الموضوعية. وانطلاقاته الأولى التي بدأت في بعض مناحيها بالعنابة باللغة العبرية؛ خدمة لها وإحياء لماضيها، ثم جرّت هذه العناية إلى العنابة باللغة العربية وآدابها ثم الإسلام.

هذا التحديد الإجرائي مستقى من كتابات الأستاذ الموسيعي في مجال الاستشراق نجيب العقبي (1353 هـ / 1916م - 1402 هـ / 1942م)، حيث عقد فصلاً في موسوعته «المستشرقون» عن المستشرقين اللبنانيين. وأورد مجموعه من

(2) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. المرجع السابق. ص 144 - 145.

45
العرب، ممّن عدّهم من المستشرقين. وتحدّث عن المدرسة الاستشراقية المارونية، وذكر منها: جرجم الكرمسدي، وإسحاق الشدراوي، وبطرس المطويشي، ويوحنا الحسروني، ويوحنا فهد، ونصر الله شلق، وسركيس الرزي، وعميرة، ويوسف حبيب العاقوري، وجبرائيل الصهيوني، وإبراهيم الحقلاني، وسركيس الجمري، وأنطونيوس الصهيوني، ونمورون بن مرهج، وحنّتّ مَن نمرون، وميلخائيل سعاد الحصروني، وإسطفان الدوهي، والأب يوسف الأشقر، وأندره إسكندر، ويوسف غزالة، وبطرس مبارك، وآل السمعاني، وأنطون عريضة، وجبرائيل القرداحي، ويميخائيل الفغالي، ونعمة الله أبو كرم، والأب ميخائيل الفغالي (وهو غير الأول)، وطوفيا العنيسي، والمطران بطرس ديب، والمطران بطرس صغير، والأب فريد جبر، والأب ميشال الحابك. وتترجم المؤلف لنفسه من بينهم على أنه مستشرق عربي. (1)

كذا يرد التحديد الإجرائي عند يوهان فوك في كتابه تاريخ حركة الاستشراق، حيث يذكر عددًا من أسرة السمعاني (أسيمياني) من الموارنة، على أنهم من المستشرقين، ويدرهم منهم جوزيف سيمون وستيفانوس إيفوديوس، وسيمون،

ويسف اللويسيوس، وذلك في فترة عنوانها المؤلفة الموارنة
وفيّان اللغة. كما ذكر الأب لويس شيخو وإنطوان صالحاني
على أنهما مستشرقان. (1)

وكذا ذكر مكسيم رودنوسون أسرة السمعاني كذلك، وذكر
معهم الراهب الماروني ميخائيل الغريزي، الذي عمل في مكتبة
الأسكوريال في مدريد. (2)

ويذكر المستشرق الهولندي المعاصر جان دي جاك واردنبرغ
عددًا من الأسر المارونية التي تعلّمت في الكلية المارونية
الجديدة في روما (1584 م). (3) وذكر من هذه الأسر أسرة
السماعاني والغزيزي واليازيجي. ويُوحى بأن معظمهم من
المستشرقين الموارنة الذين عملوا مترجمين إلى العربية،
وتظهروا مع بعض المسيحيين الشرقيين - بأنهم «قادرون على

________________________

(1) انظر: بيهان فوك. تاريخ حركة الاستشراقي: الدراسات العربية والإسلامية
في أوروبا حتى بداية القرن العشرين. نقله عن الألمانية عمر نافعي العالم.
- ط 2. بيروت: دار المدار الإسلامي، 2001م. ص 124 - 129،
وص 310 - 316. وغفل المترجم عن الأصل العربي لاسم السمعاني.

(2) انظر: مكسيم رودنوسون، الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية.
- ص 31 - 96. في: تراث الإسلام/ تصنيف جوزيف شاخت وكليفورد
بوزورت، ترجمة محمد زهير السمهوري وحسن مؤسس وإحسان صدقي
المعمد، تعلم وتحقيق شاكر مصطفى، مراجعة فؤاد زكريا. - ط 2.
- جمع. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 1419 ه.
- 1998م. (سلسلة عالم المعرفة؛ 32 و33).

(3) انظر: جان دي جاك واردنبرغ. المستشرقون. - مرجع سابق. - ص 41.
تدريس اللغة العربية، وتقديم معلومات موثوقة عن المجتمعات الإسلامية، وحتى تقديم توجيهات عن الإسلام، مما تسبب في حدوث إرباك أكثر من تقديم معرفة». (1)

بل أجد مصطفى السباعي - رحمه الله تعالى - يُدرج عزيز عطية سوريال من مصر، وفيليبي حتّى من لبنان، ومجيد قدوري من العراق، ضمن المستشريدين. (2) ويدرّج الخبر في الاستشراق الألماني رضوان السيد العربي ألبرت حوراني من المستشريدين، وهو ممن تولّوا الردّ على إدوراد سعيد في موقفه من الاستشراق. (3)

وهذا عبدالرحمن بدوي - رحمه الله تعالى - يُدرج إبراهيم الحقلاني والسلمان: يوسف وأسطفان إيفود، ويوسف ألويس، وسمعان، ومرحّج بن نورون من الموازنة، ضمن موسوعته عن المستشريدين. (4) وعليه فإنه بهذا المفهوم الإجرائي المقترح للاستشراق لا آتي جديد، سوى التحديد الإجراي للمفهوم، وتخصص المصطلح، بدلاً من المفهوم العام. (5)

---

(1) انظر: جان دي جاك واردنبورغ. المستشريدون. المرجع السابق. ص 41.
(3) انظر: رضوان السيد. المستشريدون الألمان: النشوه والتأثير والمصائر. ط 2. بيروت: المدار الإسلامي، 2016م. ص 84.
له. (1) ولتلاَّ يظنُّ أنَّ هذا النزوع لتحديد المصطلح إجرايًّا يراد به أن يخدم هوى في النفس أو هو تحيّز في الموقف.

وَمَا يُؤخذ على هذا المفهوم الإجرايّ أنه يقف عاجزًا عن تصنيف بعض المستشرقين، الذين تخصّصوا في الجاهلية عند العرب - إن وجدوا - فهؤلاء إن تخصّصوا بالجاهلية عند العرب، دون التعرّض للإسلام، من قريب أو بعيد، فإنه قد يصدق عليهم مفهوم المستعربين؛ التفافًا على مصطلح الاستشراق. ويُشكُّ في أيّ مستشرق يتخصّص في أصول العرب ولا يتحرّض للإسلام، وإن ركّز في دراسته على الجاهلية، إذ قد لا يسلم - من وراء هذه الدراسات - من التعرّض للإسلام بشيء قريب أو بعيد، بالنظر إلى أن الإسلام قيد بعد الجاهلية العربية وغير العربية. (2)

وَرغم ما يُضيف هذا التعريف التفريقي من عموم المصطلح إلا أنه يطرح رؤى وأفكارًا جديرة بالاهتمام في مجال التحديد الدقيق للاستشراق، في ضوء التداخل بينه وبين

---

(1) انظر في مناقشة مفهوم الاستشراق منهجيًا: السيد محمد الشاheed. الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين - الاجتهاد. - مرجع سابق. - ص 191 - 211.

دراسة الأخرى للشرق أو للإسلام تحديدًا. وذلك في ضوء الرغبة في الخروج بأخلاق منصفة وموضوعية ومؤصلة حول دراسات "غربية" للشرق أو الإسلام.

وتبقى من محاولات التحديد الدقيق للاستشراق إعطاء المصطلح عددًا من الإطلاقات باللغات الغربية، من مثل Orientalism, Orientalistica, Orientalismus, Orientalization, Orientology، وغيرها من الإطلاقات التي تسهم في زيادة الغموض لموضوع صاحب الفكر الإسلامي طيلة أربعة قرون - على الأقل - من القرن السابع عشر إلى هذا القرن الحادي والعشرين الميلادي الراهن، منذ مرحلة الاستكشاف في القرن السابع عشر إلى مرحلة الأفول والتجاذب الحالية في مطلع هذا القرن. (1)

المسلمون الغربيون

ولا يدخل في مفهوم المستشرق كذلك من كانوا مواطنين "أصليين" غربيين، إلاّ أنهم مسلمون يكتبون عن الإسلام والمسلمين، ولو لم يكن لاسم هذا الكاتب أو ذاك خلفية عربية، أو كانوا مستشرقين ثم أسلموا، من أمثال عبدالكريم.

(1) انظر: العبروك الشيباني المصري، صناعة الآخرين: المسلم في الفكر الغربي المعاصر، من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا. - مرجع سابق. - 16-110.
جرمانوس، (1) ونصر الدين دينيه، ومحقق أسد، وعبد الواحد
يحى غينون، ورجاء جارود، ومراد هوفمان. وقد سعوا إلى
تغيير أسمائهم الأولي، كما أوردهم لمخض شابي في كتابه
القيم، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، (2) حتى
لوي كتبوا بروح استشراقيّة، أو كانوا ينتمون للمستشرقين في نظرتهم
لبعض قضايا المسلمين، إذ يظلون مسلمين.

مع هذا لا يدخل في مفهوم المستشرق المسلمون من عرب
وغير عرب الذين استوطنوا المغرب (أوروبا وأمريكا) وأسهموا
في الدراسات الإسلامية، رغم أن ميشال جحا لا يوافق عمر
فرؤخ في عد المسلمين غير مستشرقين، ويضرب مثلا بالباحث
في التراث الإسلامي الأستاذ محمد فؤاد سركين (1342/1964
1961م)، المتحدّر من أصل تركي، وتلمذ على المستشرق
الألماني هلموت ريتز (1892 - 1971م)، (3) وينظر ميشال
جحا إلى سركين على أنه أستاذ في جامعة فرانكفورت، ويحمل

(1) انظر: مصطفى عبد المنعم خفاجي، المستشرق المسلم عبد الكريم
جرمانوس في وصف رحلته إلى الجزيرة العربية، المنهاج، 1965، ص 70-71.
(2) انظر: لخض شابي، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر،
الرياض: مكتبة العبيكان، 1422/2001م، ص 141.
(3) عند رضوان السيد عددًا من المستشرقين الألمان الذين تلمذوا على هلموت
ريتز، ولم يذكر منهم فؤاد سركين؛ لأنهم ليس مستشرقًا. انظر: رضوان
السيد. المستشرقون الألمان: النشوء والتأثر والمحاصيل، مرجع سابق، ص 50-56.
الجنسية الألمانية، ويحمل في حقل تاريخ الأدب العربي، ويكمّل ما قام به كارل بروكلمان. فالأدب العربي بالنسبة إليه أدب غريب، كذلك اللغة العربية، ومن هذه الناحية لا يختلف عن بروكلمان سوى أنه مسلم. ومتي كان الدين عاملاً يدخل في الأعمال الأكاديمية والإبداعية؟!

وإذا لم يكن الدين عاملاً يدخل في الأعمال الأكاديمية والإبداعية فلا حاجة للألم ئه. وهّل يمكن حصر الأكاديمية والإبداعية على النتائج الوضعية الأخرى، التي أريد لها في بعض مساراتها – أن تحل محل الإسلام?

ويثني المستشرق الهولندي جان دي جاك وارننبرغ على فؤاد سركين، وأنه بزُ كارل بروكلمان إلى حد ما في كتابه تاريخ التراث العربي. (2) وعدم إدراج العلماء المسلمين الغربيين في مفهوم الاستشراق هو أيضًا رأي وارننبرغ نفسه في كتابه المستشرقون.(3)


(2) انظر: جان دي جاك وارننبرغ. المستشرقون. . مرجع سابق. ص 66.

(3) انظر: جان دي جاك وارننبرغ. المستشرقون. . المرجع السابق. ص 66.
المفهوم الإجرائي يؤكد حضور عامل الانتماء الديني في التعاطي العلمي الموضوعي الإيجابي مع العلوم العربية والإسلامية، مع تفهم حدوث أخطاء وينتان تدخل في هامش الاجتهاد من المتمنين للدين. ولا يتوقف هذا الاجتهاد - من منطلق الشرعي - من غير المتمنين للدين، كما يقول محمد كرد علي: «ليس من المعقول أن نكلف من لم يتأدبوا بأدبنا، ولم تعمل فيهم أحاسيسنا، ولا دانوا ديننا، أن يعتقدوا ما نعتقد، ويكتبوا فيما نحب، فكلّ جنس تفكيره، وكلّ جيل مدنيته، وكلل إنسان أهواؤه وأغراضه.»

الدراسات الشرقية

وسبب هذا الاضطراب في تحديد مفهوم دقيق للاستشراق Orientalist Studies نجد من يفرّق بين الدراسات الاستشراقية والدراسات الشرقية. "فالدراسات الشرقية تمتّ مسؤولياً أكاديميًّا حدد اسمها انطلاقاً من مادة دراستها فقط، دون أن ترتبط وجوبي ارتباطًا آليًا بذات الأيديولوجيا الصريحة أو (1)

انظر: محمد كرد علي: "أغراض المستشرقين" الرسالة، م، 114، ص 176 (1935م).

(1) المصدر: "التعريف بالاستشراق: التأليف والاختلاف الثلاثينات - 44 ص 22. والنص من ص 10 في: الاستشراق، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1991م، ص 298 + 36. 53
الضمنية التي حكمت الدراسات الاستشراقية. (1) ويفترق بين مفهوم الاستشراق على أنه حركة أو ظاهرة أو علمٌ (Orientology). (2) ويرى أسد دوراكويفتش من البلقان أنّ الخروج من هذا الإلباب يمكن أن يكون في ترسخ مصطلح علم الشرق (Orientology). (3) أمّا الدراسات الاستشراقية فهي دراساتٌ كُتبت بصفة فردية أو في إطار مؤسسات عاضدة، وحكمتها أيدولوجيا نفعية، سواء كانت صريحة أو ضمنية وارتبطت بالاستعمار المباشر وغير المباشر والمصالح الغربية المادية والثقافية والفكرية. (4)

وقد يؤخذ هذا الترجمة في التفريق بين الدراسات الشرقية والدراسات الاستشراقية أن المراكز البحثية والأقسام الدراسية


المعهنة بالشرق قد بدأت منذ زمن في استقطاب العلماء والأواسيزة الشرقيين أعضاء باحثين فيها. فنجد الباحث العربي والباحث المسلم والباحث الهندي والياباني والكوري والصيني والفيتنامي والأفريقي جنوب الصحراء الكبرى قد انخرطوا أعضاء في هذه المؤسسات البحثية. وهم بأي حال لا يدخلون في التصنيف العام للاستشراق، وإن تتبّوا المنهج الاستشراقي في البحث، أو تبنّوا الرؤى الاستشرافية حول بئتهم. (1)

وسواء أكان أوانى الدراسات الغربية استشراقية أم كانت شرقية، فيظل معظم المُسهمين بها لا ينتمون إلى الثقافة التي يدرسونها ولا يتحدثون اللغة - في الغالب - التي هي وعاء ما يدرسونه، ويتكون بدرجات متزايدة على دراسات أؤسّستهم السابقين وانطباعاتهم. ويتظل الهوى يسيّر كثيرا من هذه المشروعات البحثية.

وتصعب مصادرة الهوى في كم من الدراسات الاستشراقية أو الدراسات الشرقية، وأهل الهوى يكتبون ما لهم لا ما عليهم، كما هو مضمون عبارة الإمام الحافظ عبد الرحمن بن مهدى (توفي سنة 198 هـ). يقول: "أكل العلم يكتبون ما لهم وما

عليهم، وأهل الهوى يكتبون مالهم». (1) ومن هنا تأتي الإشكالية في منهجية تلك الدراسات، من حيث الموقف من الغرب الدراس للشرق المدروس. (2)

ويظهر أن هذه المحاولة للمبروك المنصوري لتفريق بين الدراسات الشرقية والدراسات الاستثنائية تسهم بوضوح في غموض المصطلح أكثر من ذي قبل، وظهور الحاجة الملحة لتحرير المصطلح بقدر عالٍ من العمق الفكري. والغرض من هذه المحاولة واضح في سعي المؤلف إلى الابتعاد عن التعليم في الأحكام على الاستشراق، تلك النظرية التي غلبت على كثير من المؤلفات العربية السريعة التي نظرت للاستشراق على أنه تحد من التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية. (3)

ويقل عن المستشرق الإيطالي فرانسيسكو غابريلي (1906 – 1975 م) في دفاعه عن الاستشراق قوله: «إني أرفضُ —

(1) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، شيخ الإسلام، اقضاء الضراء المستقيم لمخالفة أصحاب الجهمية/ تحقيق وتعليق ناصر بن عبدالكريم العقل، ط 7، الرباط: المحقق، 1419هـ/1999م.

(2) ص 85.


(3) انظر: المبروك الشبائي المنصوري، صناعة الأخ: المسلم في الفكر الغربي المعاصر، من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا. مرجع سابق. 50 ص.
قطعياً هذا التقسيم الظلم لأعمال الأجيال المتتالية من المستشرقين أو المتخصصين بعرفة الشرق والذين لا يهذلون إلى أي غرض أو مصلحة شخصية من وراء هذه المعرفة، إنهم يهذلون إلى خدمة العلم والفضل العلمي الذي يشكل إحدى خصائص الإنسان».

وربما أسهمت هذه المحاولة في التوجه نحو الالتقاء على الاستشراق المصطلح، لا من المستشرقين أنفسهم هذه المرّة، بل من دارسي المستشرقين من ذوي الثقافة المستهدفة من الدراسات الاستشراقية أو الدراسات الشرقية. ولا يظهر لي أن هذا التوجه مهبّق في المحيط الفكري العربي. إذ إن معظم الدراسات العربية للاستشراق لا تقر هذا التفريق، لكنها تُظهر الفتق في تحديد المفهوم، ومدى انتباهه على حالات غريبة محدّدة.

ومن ثم يقدّم الباحث المبروك الشيباني المنصوري رؤية ومبادرة للاستشراق مبتكرة ومختلفة وغير تقليدية، لا تعتمد على التنافل بين الباحثين العرب، كما جرت العادة عليه. فهو يعيد صياغة التعرف على مدى ثمانيين صفحة (29-110) من داخل الاستشراق لا من خارجه. ولا يحفي في رحلة هذه نقده.


57
المباشر ولومه لمن اعتمدوا على النقول المباشرة ممّا سبقوهم من المُسَمِّين العرب والمسلمين من وجهات نظر فكرية قد تكون غير متميّزة. ويورد بعض الأمثلة على هذا التناقل.

الاستشراق البلقاني

فليس العالم البوسني - مثلاً - إسماعيل باليتش (1920 - 2002) مستشراقاً، كما يصفه مُحمّد موفق الأرناؤوط، وإنّ تأثير الاستشراق الصربى بخاصّة، إبان وجود يوغوسلافيا، والاستشراق بعامة. (1) وليس العلماء المسلمين الآخرون البلقانيون، الذين ذكروهم الباحث الضليع في الاستشراق يوغوسلافي بعامة، والشأن العلمي والفكري والثقافي البوسني والبلقاني بخاصّة، مُحمّد موفق الأرناؤوط بمستشرين. (2)

ورغم ما للاستشراق اليوغوسلافي والبلقاني بعمومه من خصوصية تمثّلت فيه الثنائية: الذات والآخر، إلاّ أنّ ذلك ليس مسوّعاً لجعل علماء ومثقفين ومفكّرين بوسنيين وكوسوفيين وألبانيين مسلمين في عداد المستشرين، من أمثالّ من ذكروهم


58
الأرناؤوط في دراسته حول الاستشراق اليوغوسلافي والألباني: حسن كلشي ونسينان غروزدانوفيتش وبيسيم كركوت وصالح عليتش ومحمد مويش وحميد حاجي بيجيتش وعمر موشيش وحازم شهبانوفيتش وأدم خانجيتش وتوفيق مفتيش وفتحي مهدي وأحمد عليتش، وغيرهم كثير ممن تعرض لهم المؤلف المراجع في الاستشراق البلقاني، بما فيه الاستشراق البوسني كما يسعى المؤلف والاستشراق الكوسوفي، على أن معظم العلماء البوسنيين والكوسوفيون والألبان مسلمون. (1)

يؤيد هذا المحقق ما أورده الباحث المعمّق في الاستشراق اليوغوسلافي نفسه محمد موفق الأرناؤوط من استفسار طرحه أسعد دوراكوفيتش: «هل يمكن البشاغنة الأوروبيون أن يسموا أنفسهم مستشرقين، حين يدرسونتراثهم الثقافي في اللغة الشرقية؟ وبالاستناد إلى هذا السؤال هل يمكن القول: إن صفوت باش أغيش هو «مستشرق»، كما هو فرانسيسكو غابرييلي في إيطاليا، وألكسندر بوبوفيتش في السوربون؟» (2)


ولذلك يظهر أنَّ الباحث هذا الخبر الصريح بالشأن
اليوغوسلافيا يسعى إلى تمييز الاستشراق يوغوسلافيا عن
الاستشراق في أوروبا الغربية أو الغرب الأوسط وأمريكا أو
الغرب الأقصى، من خلال «برز مفهوم آخر للاستشراق في
يوغوسلافيا» (1).

إنَّ عدّ هؤلاء العلماء والمفكرين والأدباء والمثقفين
ونحوهم، وعدّ المسلمين المقيمين في الغرب الدارسين في
المؤسسات العلمية الاستشرافية وغير الاستشرافية، مستشرقين لا
يستند إلى مؤهّلات قوية، بل إنه يضيف على مفهوم الاعتراف إلى
هذا الدين، ويصالح هؤلاء هذه الفئة من بني الإسلام، التي لم
يتخلّعوا عنها، ولم يبتغوا منها، بل ربما أنهم بإخلاص منهم -
إنَّ جانب الصواب عددًا منهم - أرادوا الإفادة من الآخرين، في
سبيل النهوض بالأمة، التي كانت تعاني من ركود واضح (2).

ويظلّ هؤلاء العلماء مسلمين، حتى وإنَّ نظر إليهم على أنهم
يملؤون «الجيل الذي نهل من ثقافة الغرب، واكتسب نموه
بمؤثرات بيئية، كانت المدارس الغربية قد تعددت بالأعمال.

(1) انظر: محمد م. الأرناؤوط. مراجعة الاستشراق: ثنائية الذات/ الآخر
نموذج يوغوسلافيا. - المرجع السابق. - ص. 16.
(2) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق البلغاري والتجاوز الثقافي: رؤية
في المفهوم. - سرافيفو: معهد سرافيفو للاستشراق/ جامعة سرافيفو،
والحنان». (1) ولذلك فإنه من غير المقبول أن يُطلق على أي من هؤلاء مهما كان تأثرهم بصيغة "المستشرق المسلم"، فلا جمع بين المفهومين. (2) وإذا اقترن لقب "الباحث" بالمستشرق السابق مع الاسم العربي مثل المستشرق المجري السابق وقد أسلم وتميَّز بعبدالكريم "جوليوس" جرمانوس (1847 - 1979)، فإن هذا توكيد على أنه لم يعد مستشراً. (3)

الاستشراق والتنصير

منذ انطلاق الاستشراق من الأديرة والمعابد، على يد البابا سلفستير الثاني (غربرت الفرنسي)، الذي يُعد من

____________________________________________________________

(1) انظر: مصطفى نصر المصلاتي، الاستشراق السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، طرابلس: إقرأ، 1986، ص. 20.
(3) انظر: جوليوس جرمانوس أو الحاج عبدالكريم جرمانوس. 199 - 203. في: أسامة زيكي المحساني، التعرف بجمعية المستشرقين وبيجهدم في الدراسات الأدبية واللغوية وفي إعداد فهرسة المخطوطات العربية. مرجع سابق، ص. 214.
المستشرقين، (1) في القرن الرابع الهجري (389 - 393 هـ)، العاشر/ الحادي عشر الميلادي (999 - 1003 م) كـ، كما يفضّل محمد ياسين عربي - والحوار بين الشرق والغرب لا يزال مستمراً، من منطلق أنّ انطلاق الاستشراق هذه جاءت تعقيدًا لحملات التنصير. (2)

يقول هذا الباحث في الشأن الاستشراقي في كتابه المهم الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي: "وبغض النظر عن التفاصيل والحوض في شتي العلوم العربية، التي نقلت إلى الغرب، عن طريق مدارس جنوب إيطاليا، كالطب والصيدلة والزراعة والكيمياء والميكانيكا والعلوم الطبيعية بصورة عامّة، والصناعة والفلسفة بفروعها، فإن الدافع الأساسي لنقل هذا التراث هو التبشير الذي أخذ من الاستشراق وسيلة تحقّق الغاية، إذ إنّ معرفة الحضارة الإسلامية هي الأساس لانصر الصليب على الهلال. وإذا كان الصليبيون قد ولّوا الأدبار، بعد صراع استمر أكثر من مائتي سنة، فإنّ الغرب قد انتصر بالفعل.

(1) انظر: عمر فورم، المستشرقون وما لهم وما عليهم، مرجع سابق، ص 54 - 62. في الاستشراق، ومجلة الاستشراق، 1987، (سلسلة كتب الثقافة المقارنة، ج1).
(2) انظر في تحقيق العلاقة بين الاستشراق والنصير، وهو في هذه العلاقة: السيد محمد الشهاب، الاستشراق ومتجهية النقد عند المسلمين المعاصرين، وماجد، مرجع سابق، ص 191 - 211.
في هذا الصراع، من خلال سلبه لحضارة الشرق. وهذا ما يفسر نشاط الترجمة في القرنين الثاني والثالث عشر. (١)

ثم يقول محمد ياسين عربي في الصفحة التالية: «وإذا كانت الأفكار أسابق من الظواهر فإن استعمار البلاد العربية الإسلامية في (ق ١٩ - ٢٠ م) في طرف الغرب، لم يكن إلا نتيجة لاستلباب الفكر العربي الإسلامي في القرنين السابقين، من ديكارت إلى كاينط. وقد خطط البشير والاستشراق لمثل هذا الاستعمار منذ البداية. ولعلَّ أوضح صورة لهذا التخطيط ما نلمسه في مدارس الترجمة بالجناح الشمالي العربي من الزاوية المعكسة، وخاصة في مدرسة طليطلة. (٢)

استمرار الحوار

بقراءة هذا الكتاب «الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي» يجد القارئ مادة علمية غنية جدًّا بالمتانة. على أن الكاتب مثل غيره لا يخلو من ملحوظات في طرحه، من حيث انطلاقته الفكرية.

---

(١) انظر: محمّد ياسين عربي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي. نقد العقل التاريخي - الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩٩ م. - ص ١٤٢.

(٢) انظر: محمّد ياسين عربي. الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي. - المرجع السابق. - ص ١٤٣. ٦٣.
هذا الطرح في نقد الاستشراق ما هو إلا امتداد للحوار بين الشرق والغرب، وأن هذا الحوار يمصع اليوم - في الغالب - بقدر لا يُستهان به من السطحيّة، حتّى في مفهوم الاستشراق، الذي يُعتقد على نطاق واسع أنه سيعود إلى الأضواء، بعدما حلّ بالعالم في الثاني والعشرين من شهر جميلد الآخرة 1422هـ الموافق الحادي عشر من سبتمبر 2001م، وما تبع ذلك من حروب في أفغانستان والعراق ثم البلاد العربية الأخرى بالتوالي، ثم الإساءات المتوالية إلى سيدنا خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله.

من ذلك - ونتيجة لذلك - زيادة التحالف على العرب والمسلمين، وعلى الإسلام نفسه، بطريقة تناسب الزمان، إلى درجة التدخل في فهم الإسلام، وإفهامه للأجيال القادمة، وإعادة صياغته. (1) وهذا شيء خطر ينبغي التنبئ له، وإعداد العدّة الثقافية والفكرية والمنهجية لمواجهته، من قبل الاختصاصيين في الاستشراق القديم/ الكلاسيكي والجديد/ المعاصر.

يقول الباحث العُماني المعني بالعلاقات الحضارية بين الشرق والغرب عبد الله بن علي العلياني حول النظرة الاستشراقية

للشرق: "وهذه الرؤية الجامدة أيضًا في بعض منطلقاتها ضمنت "الأنا" بصورة لا عقلانية، وتختلف ما يطرحونه للآخر المختلف بأنه "لا عقلاني" ناهيك عن قدراته وملكاته العقلية والفكرية وإقصاء الآخر وتهميشه فكرياً وثقافياً، والعمل على تأسيس ذاكرة تاريخية ثقافية محورها "الأنا" الغربي وتمييزه وتفوقه بصمات وخصائص يفتقدها الآخر عقيلياً وحضارياً وعرقياً.

يقول إبراهيم صحراوي مترجم كتاب دانيال رينغ "رجل الاستشراق: مسارات اللغة العربية في فرنسا": "إن الحوار الناجح يستلزم امتلاك الأطراف المتحاربة لشروطه وأساسياته وهو - ينبغي التحلّي بقدر من الشجاعة والمسؤولية للاعتراف بذلك - ما لا يتوفر لنا، لا مثيل له ولا معنى؛ لأننا نراه ونعشي حاليًا هو إملاءات وآراء نأتينا من الآخر (العرب)، نفذها - والفاعل هو ما هو - بتوأط واستسلام كبيرين". (1)

وليس المجال هنا مناقشة مقومات الحوار، إلا أن هذه العبارة توفي بقدر من الإحباط الذي لا يُعين على الانطلاق في الحوار. ومنه هذه الجهود في الحوار غير المباشر مع الاستشراق.

على هذا التهميش والإقصاء والمركزية «الآنا» من بعض المستشرقين، وتجريد الآخر المختلف من كل صفات النبوغ والتحضر والعقلانية، تختلف وتنافض في الوقت نفسه جهود شريحة مهمة من المستشرقين الذين تحدثوا عن حضارة عربية إسلامية أصيلة وتميّزة، وكشفوا عن تاريخ وآثار تنتمى عن تصوير غير مسبوق لحضارات عريقة في مصر الفرعونية والشام والعراق وفارس والهند والجزيرة العربية، وهذا ما جعل الكثير من الباحثين الغربيين ينتقد هذا التحري والتحامّل والتعصّب ضدّ العرب والمسلمين.

ومن ذلك ما طرحه «تيري هيتش» في كتابه الشرق المخيف الذي اعتبر أنّ التاريخ الغربي شوّه والفعل حقائق من خلال الاستشراق، وسكت بشكل نسبي عن كل العطاءات العلمية والحضارية العربية وغيرها من المنجزات العلمية والفكرية الشامخة.

يرجع هيتش هذه الأسباب - وهي واهية - إلى أنّ الغرب منفصصٌ «بين الإعجاب بالعلم العربي والعنصرية المناهضة للإسلام». (1) وهي إشكالية ذهنية لا يستقيم معها هذا الانفصام بين العلم الذي خلقه المسلمون من العرب وغيرهم والإسلام نفسه الذي نتجت عنه هذه العلوم بالبحث والتشجيع والوصول.

(1) انظر: عبدالله بن علي العلياني. في مسألة جهود الاستشراق في حفظ التراث. - صحفية عمان. - (25/12/2015/1436هـ/10/7/2015م). -
http://omandaily.om/?p=121957
لولا فإن هذه الذهنية الانفصامية تحدّد
الموقف من المصطلح نفسه، بحيث يتهرّب منه بعض
المستشرقين؛ خروجًا من مأزق تعميم الأحكام على فئات
المستشرقين جميعًا من ناقي الاستشراق والمستشرقين.
والتعليم في الأحكام مجانًا للصواب.

والنقد هنا لا يتوقف عند نقد الاستشراق في طروحاته العامة
القديمة والحديثة، بل يتعدى هذا إلى نقد مناهج المستشرقين
أنفسهم. ولا غنى عن هذا النقد في سبيل نقد حقيقي وفعال
للاستشراق نفسه. (1) فنقد مناهج نقد الاستشراق هو شيء لا
غنى عنه من أجل نقد حقيقي وفعال للاستشراق.

ولعل من المناسب ختم هذا الفصل بقول المستشرق
الألماني المعاصر ميكولوش مورانيك: «وكيّرًا ما يستخدم
الإعلام مصطلح (المستشراق) في غير موضعه، فزعم أن كل
فرد يدّلي برأيه في شؤون العالم العربي والإسلامي، أو يدلي
بقلبه في الأمور السياسية في الشرق الأوسط يُعتبر مستشراً،
حتى ولو كان صحفيًا، أو عالمًا في العلوم الاجتماعية، أو
سياسيًا غير ناطق باللغة العربية، وهذا غير صحيح». (2)

(1) انظر: جلبر أشقر. الماركسية والدين والاستشراق. نقله إلى العربية سماح
إدريس. - بيروت: دار الآداب، 1965 م، ص 124.
(2) انظر: لقاء شبكة التفسير والدراسات القرآنية مع المستشرق الألماني
الدكتور ميكولوش مورانيك. نشر في ملحق أهل الحديث يوم الخميس 1-1-1422ه
2002م.
ومن هذا يمكن توزيع المستشرقين في تعاطيهم مع الشرق العربي الإسلامي، وبحسب توزيع وارنبرغ لهم، وبحسب تعبيراته بتصور محدد، إلى خمس مجموعات، هي على النحو الآتي:

المجموعة الأولى: هم أولئك المستشرقون الذين يقومون الإسلام على نحو صحيح، وإن حصلت منهم أخطاء كما تحصل من غيرهم.

المجموعة الثانية: هم أولئك المستشرقون الذين لا يقدّمون الإسلام على نحو صحيح من "رجال الدين" لأغراض التنصير بتحويل المسلمين إلى النصرانية.

المجموعة الثالثة: المستشرقون الصهاينة الساعون إلى إضعاف الإسلام لنقية الصهيونية سياسيًا وأيديولوجيًا.

المجموعة الرابعة: المستشرقون الاحتلاليون العاملون في خدمة الحكومات المحتلة.

المجموعة الخامسة: المستشرقون الملحدون من ماركسين وماديين. يهدف هؤلاء إلى إضعاف دين المسلمين وأخلاقيهم والبشرية جمعاء؛ قصدًا لاستعبادهم ذهنيًا وأخلاقًا.

إلا أن وارنبرغ ينقل عن المستشرق الهولندي المعاصر رودولف بيتز المعني بالشريعة الإسلامية توزيعه المستشرقين إلى مجموعتين رئيسيتين، الأولى المجموعة المنصفة، والثانية إلى مجموعتين رئيسيتين، لكونهもしًا.
بقية المجموعات الأربع المذكورة بعد المجموعة الأولى. (1) وبخلاص واردنبرغ نقلًا عن بيترز إلى أن المجموعات الأربع الأخيرة، التي جعلها مجموعة واحدة، "تشكل حركة متماسكة تحاول تحقيق ما تسعى إليه الحروب الصليبية، من خلال العلم تحت لواء الدين، ألا وهو السيطرة على المسلمين". (2)

(1) انظر: جان دي جاك واردنبرغ. المستشرون. ـ مرجع سابق. ـ ص 62.
(2) انظر: جان دي جاك واردنبرغ. المستشرون. ـ المرجع السابق. ـ ص 62 ـ 63.
الفصل الثاني

تقلبات في الدوافع

لا يُغفل العامل المهم الذي قام عليه الاستشراق، فيما يتعلق بالحضارة الإسلامية بخاصّة، وهو أن الحركة الاستشراقية في معظمها وليس فيها كلها - قامت على تشويه الإسلام. (1) وربما يكون ذلك ناتجة عن انتشار الفتوح الإسلامية، وموقف المسلمين في الحروب الصليبية (491 - 690 هـ الموافق 1098 - 1291 م)، وعدم تمكين المسلمين لهذه الحملات الصليبية النصر الناجح على حساب أراضي المسلمين ومقدّساتهم.

أدى هذا الوضع إلى زيادة الاضطراب في العلاقة. يقول بوهان فوك في كتابه حركة الاستشراق: "إن مثل هذه العلاقة

(1) انظر: بروس لوند، بشر مثلي: تحريف الحقائق في الشرق الأوسط، ترجمة حسن البيستاني، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2002 م، ص 244.
المتوترّة لم تسمح بمعرفة حقيقية متبادلة، فلقد كانت الآراء التي
كُونَّاها كلٌّ طرف عن الآخر في كلا المعسكرين غير دقيقة وغير
موضوعية».

ولم تكن الحروب الصليبية هي انطلاق الاستشراق كما يزعم
بعض المسهمين في الكتابة عن الاستشراق، بل لقد صاحب
بعض المستشرقين تلك الحملات، مما يعني أن الاستشراق كان
قائمًا أثناء الحملات التسع. وكان كذلك قبل ذلك.

على أن هناك من يعيد الفكرة الاستشراقية تحديدا إلى ما قبل
ذلك بزمن، عندما دخل المسلمون الأندلس، فازدهرت
الأندلس وبدأت العلاقات العلمية بين المسلمين وبين نصارى
أوروبا، من خلال البعثات العلمية الأوروبية لحواضر المسلمين
في الأندلس وصفقية، مما أدّى إلى تعلّم اللغة العربية ودراسة
القرآن الكريم، وترجمة معانيه إلى اللغات الأوروبية.

ويقال إن هذا التلقّي عن المسلمين كان مبعته الأوّل
إخراجهم من الأندلس بعد أن قُسّمت الدولة العسكرية في ذلك.
وقد كان لهم ذلك سنة 898 هـ الموافق 1492 م، إلا أن القصد

(1) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق. - مرجع سابق. - ص 15.
وا هاتف: ص 126 - 127.
لم يقتصر على ذلك، بل إنَّ الفكرة الاستشراقية يمكن أن تُعاد إلى هدفين أساسيين:

أحدهما: حماية النصارى من الدخول في الإسلام،
والثاني: الحدُّ من انتشار الإسلام في ديار النصارى، وفي ديار أخرى، يطمِّع النصارى في أن يكون لهم فيها قُدمٌ عن طريق الحملات التنصيرية.

على أيٍ حال قام الاستشراق في بداياته - ليدرس الإسلام، من قبل علماء نصارى، ثم يهود كان موقعهم الجغرافي - بالنسبة لدار الإسلام - في الغرب في ذلك الزمان، إلا أنه مع مرور الأيام وانتشار الإسلام، ومن ثمّ انتشار الاستشراق، لم يُعَد للجهة الجغرافية "الجهوية" معنى في إطلاق الشرق والغرب، كما مرّ بيه في تحرّي المصطلح، بل أصبح الغرب يمثل فكرًا، وأصبح الشرق يعنى شيئًا فكريًا غير الفكر الغربي، بما في ذلك الفكر الفارسي والهندوي والصيني والياباني، ونحوها.

فأصبح الاستشراق إجرائيًا هو اشغال غير المسلمين بعلوم المسلمين وعاداتهم وثقاليهم وآدابهم وأساطيرهم - كما مرّت مناقشته - ولهذا إطلاق إطلاق اصطلاحي، إذ لا يعني المعنى الأشمل للاستشراق هذا النقاش، ذلك المعنى الذي يشمل الشرق كله، لا سيّما أن هناك في الشرق من يدرس الإسلام، ويُعَد من المستشرقين، كالاستشراق الروسي، (أو الاستعраб الروسي) كما يحلو للمستشرق الروسي كراشوفسكي أن يسيّه.
وذلك في الجانب الآسيوي منه، (1) والاستشراخ الأوروبي الشرقي، ومنه الاستشراخ المجري والاستشراخ الألبان، والاستشراخ اليوغوسلافي، ومنه الاستشراخ الصربي، (2) وقد يجمعها إطلاق الاستشراخ البلقاني. وكذا الاستشراخ الصيني، والاستشراخ الياباني ثم الكوري، أخيرًا.

وهي استشراقات تحتاج وحدها إلى دراسات مستقلة؛ نظرًا لكونها ظاهرة فريدة كالاستشراخ الياباني مثلاً. (3) ولا يظهر أن


(2) انظر في الاستشراخ اليوغوسلافي: محمد م. الأندروت. مراجعة الاستشراخ: ثنائية النذور/ الآخر نموذج يوغوسلافيا. - مرجع سابق. 150 ص.

الاستشراق فيها كان له عمق الدراسات المتعمقة الذاتية من علماء تلك البلدان الشرقية، عدا محاولات الحملات التنصيرية لهذه الدول التدخل في تأليف الكتب عن الإسلام والمسلمين. (1) ثم يأتي الاستشراق الإسرائيلي الذي ظهر في فلسطين المحتلة بعد قيام وطّي قومي ليهود فيها منذ سنة 1948م. ويُعد هذا الاستشراق أحدث ما ظهر على الساحة العربية الإسلامية. (2)

الاستشراق وتحسيب الفجوة

منذ انتشار الإسلام في الأندلس إلى اليوم والاستشراق يعد عملاً منهجياً من عوامل تحديد العلاقة وطبيعتها بين الشرق والغرب، إذ إن أغلب الاستشراق - وليس كله - كان داععاً ولا يزال، في قيام فجوة بين الشرق والغرب.

المراجعات:
زاد في تعليم هذه الفجوة اعتماد المتآخرين من المستشرقين على المتقدمين منهم، مما أدى إلى تراكم الأخطاء، وزيادة سوء الفهم مع الزمن، رغم وجود محاولات جادة من بعض المستشرقين لفهم الإسلام، بمناء عن الاستشراق، كما فعل إدوارد سعيد في أعماله المشهورة مثل الاستشراق، وتغطية الإسلام، وغيرهما من الكتب والمقتالات الثقافية، التي نشرها في الصحف والدوريات الغربية، لا سيما الأمريكية.

وهذا المؤلف يُعد نموذجًا حقًا للمحاولات التي برزت في ظاهرة الاستشراق، والتي تمررت عليه، مثله في ذلك مثل عالم الإسلاميات الأمريكي جون ل. أسبوزيتو، الذي بات لا يقبل أن يُقال عنه: إنه مستشرق، لما توحى الكلمة به من معنى غير مقبول في الأوساط العلمية والفكرية والثقافية العربية والإسلامية، على ما سيأتي بيانه في هذا البحث.

مع وجود هذه الظاهرة، داخل ظاهرة الاستشراق، يظل الاستشراق في منطقته وفي معظمه، وليس فيه كله، يُنظرَهِ يسيء إلى الإسلام ويسعى تقديمه للآخرين بقصد في حالات، ودون قصد في حالات خاصَّة.

يمكن القول: إن الذين سعوا إلى فهم الإسلام من الغربيين فهمًا صحيحًا لم يفهموه عن طريق الاستشراق، بل إنهم ربما

(1) انظر الفصل التاسع ففي وفته مع حياة إدوارد سعيد، وإسهاماته العلمية والفكرية.
تجمّعوا إسهامات المستشرقين، علمًا منهم أن الاستشراق عامٌّ
سلبيًّا عن عوامل تحديد العلاقة بين المسلمين والفكر الغربي.
ولم يكن العزوف عن الاستشراق من قبل بعض الذين تعرّفوا
على الإسلام معلناً بشكل يثير المستشرقين.

وقد هذا فلم يسلم من أعلنا إسلامهم من المستشرقين
أنفسهم من أن يتعرّضوا لشكل من أشكال الأذى من أثرييهم.
ويمكن أن تكون سيرة كل من محمَّد أسد ورجاء جارودي
وموريس بوكاي ومحمَّد هوبهوم ومراد هوفمان وغيرهم من
المعاصرين ممن مَّر ذكرهم، ممَّن كان لهم تأثير فكري
اجتماعي وسياسي في مجتمعاتهم، نماذج لما يلقاه المسلم
الأوروبي المقابل على الإسلام، من أوساط عدّة، ومن بينها
الوسط الاستشراقي، أقلّها التجاهُل والخروج أو الإخراج من
دائرة الاستشراق.

وهذا يوحي بإثارة هذا الموضوع للدراسة، من خلال تبنِّع
سيّر هذه الشخصيات وغيرها قبل اعتناقها للإسلام وبعده، لا
سيّما إذا ما قامت الدراسة على إغفال الافتراضات المسبقة حول
الاستشراق، بما في ذلك مواقف المسلمين أنفسهم السليبة من
القادمين الجدد من ذوي الفكر والثقافة والشكوك في اعتمادهم
للثقافة الإسلامية، بل والشكوك من بعض الكتاب العرب في
إسلام من أسلم من بعض المستشرقين. (1)

(1) انظر: قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والانتعاشة. -
الفصل الثالث
فهم الذهنيّة الغربيّة: الاعتقادات

مرّت حركة الاعتقادات ثم الاعتقاف في مجال الاستشراق على مسارين: ينطلق من النحو الآتي:

1. الاعتقادات الغربيّة للتراث العربي الإسلامي، ونقله من مواطنه، وترجمته، ونشر بعضه، ودراسة بعضه، وحفظ بعضه، فتولّدت من هذا المسار حركة الاستشراق.

2. التفاوت العربي والمسلمين إلى النقد الموضوعي لاسهامات المستشرقين في التراث العربي وتاريخه وحاضره.

3. التفاوت العربي والمسلمين أنفسهم إلى تراثهم بالدراسة والتحقيق والنشر والحفظ، بصورة أوسع مما كانت عليه من قبل.

4. التفاوت الاستشراق نفسه إلى ذاته، واعتماده النقد الذاتي، وإعادة ترتيب أوراقه بما يلائم الحال القائمة.
5 - التفاف مشترقي على مصطلح الاستشراق، واللجوء إلى تفتيت الاستشراق وتشتيت مهمته على حقول المعرفة الأخرى.

6 - المسار الأول

التفاف الغرب نفسه للإسلام وللتراث العربي الإسلامي، ونقله ما ينقل من مواطنه من مخطوطات وأثار وترجمته بعضه وتشربه بعضه. وكان من قام بهذه الجهود جماعة من علماء الغرب انطلقت من القرون الوسطى، وأطلق عليهم مصطلح المشترقيين أو المستعرين، وذلك من خلال المدارس والمعاهد والمراكز التي تُبنى بدراسة الإسلام والتراث العربي الإسلامي وتعلِم لغته العربية ولغات المسلمين الأخرى، وكذا الحال في إصدار المجلات والدوريات وعقد المؤتمرات والندوات.

وبهذا استمرت هذه الفئة من الملفتين للشرق عمومًا، والشرق.

________________________
الإسلامي خصوصًا هذا المسار، فوجد هؤلاء الغربيون من مستشرقين ومستعربين ما جذبهم بقوّة للسفر والتنقل في أرجاء الشرق العربي، فتركوا بلادهم ووجدوا في هذه البقعة الجميلة من العالم التي كانت مهدًا للديانات السماوية راحة لنفسهم ومجالاً لتمثيل أبحاثهم ودراساتهم.(1)

وهذا المجال في الالتفات هو تركيز كثير من الكتّاب العرب تأديبًا وتثبيتًا وتبينًا لدوفاع الاستشراق ومنطقته من الأديرة والكنائس، وأهدافه ووسائله وتحولات الإفك، واستمراره أو انتهائه. وكذا في بيان منافع الاستشراق ومضاره، والمواقف بين المنافع والأضرار. وتفاوتت المواقف والنقاشات من هذا الالتفات الغربي للتراث العربي الإسلامي وواضعه، مما يستدعي عدم التوسّع في هذا المسار في هذا البحث، فهو مبهر معروف في المراجع العربية. وهو مجال المسار الثاني الأهم.

ومن الملفت في هذه الالتفات أنّها لم تسهم في بناء الجسور بين الشرق والغرب على ما هو متّجوز ومتوقّع، كما كانت الحال عليه عندما التفت المسلمون للغرب.(2) وإنما خدمت هذه الالتفات من الغرب للشرق تمزج العلاقات الطبيعية بين الناس،

(1) انظر: سماء زكي المحاسني. التعرف بمجموعوي من المستشرقين وجهودهم في الدراسات الأدبية واللغوية وفي إعداد فهرسة المخطوطات العربية. المرجع السابق. ص 5.

(2) انظر: علي بن إبراهيم النحّالة. التحصير الحضاري بين الأمم في ضوء تنافّل العلوم والأدب والفنون. الرياض: المؤلف، 1430هـ / 2009م. ص 111.
ومنعت الشعوب والمجتمعات الإسلامية وثقافتهم ودينهم من أن يدرّكون ويعيّمونه كما يفهمون هم أنفسهم. ووضعت العلاقة غير السوية بين العالمين العربي والإسلامي المستشرقين في موقف صعب؛ لأن علاقة هذا النوع أعاقت البصيرة الصحيحة بدلاً من تعزيزها. (1)

ويستطرد واردنبرج القول عن المستشرقين: «وبدلاً من أن يحاولوا بناء جسور بين الشعوب والثقافات وتصحيح المفاهيم الخاطئة في الموطن الذي تكمّن فيه، مالوا لإضفاء الشرعية على الهيمنة الغربية والدفاع عنها من دون سؤال.» (2)

وبقراءة كتاب هنري دي كاستري:«الإسلام خواطر وسواح» المنشور مترجمًا إلى اللغة العربية مطلع القرن العشرين (1911 م)، تنَّضح هذه الصورة التي يقرّراها واردنبرج في توسيع الفجوة بين الغرب. (3) وقد نصح المترجم حينها بعدم نشره باللغة باللغة العربية لما فيه من أغلابط، فالكتاب: «وإن كان غاية في التدقيق قادرة نهاءة التحقيق، غير أنه اضطر إلى ذكر ما كان يعتقدته أو يتوهّمه مسيحيو العصور الحالية في الدين الإسلامي.

انظر: جان دي جاك واردنبرج. المستشرقون. – مرجع سابق. – ص 59.

انظر: جان دي جاك واردنبرج. المستشرقون. – المرجع السابق. – ص 59.

من الشناعات والسباب». (1) قال المترجم إنْ ذكر هذه الشناعات والسباب، وإن كان على سبيل الرد عليه، إلا أن النفوذ تمتزج لها.

2 - المسار الثاني

التفاوت العرب والمسلمين إلى النقد الموضوعي لإسهامات المستشرقين السابقين والمعاصرين للتراث العربي وتاريخه وحاضره، من خلال الدراسات العلمية المنهجية الموضوعية بالردود المتواصلة وتشخيص المفهوم والندوات والمؤتمرات، وتتسليط طبقة الدراسات العليا في التاريخ والحضارة والثقافة الإسلامية، وقليل جدًا من أقسام الدراسات الاستعمارية القليلة في بعض الجامعات الإسلامية، لندق الاستشراق والمستشرقين نقدًا موضوعيًا، حيث أصبح النقد أكثر ميلاً إلى النظرية العلمية القائمة على نقد الراوي بالحجّة ورد الشهات بالبرهان، في مسار هادئ بعيد عن التشجيع وإطلاق الأحكام المسبقة والألفاظ غير المقبولة علميًا، كما جرت عليه العادة في بعض الإسهامات الذاتية التي تعبّر عن رؤى شخصية، من خلال تلك النظرية السلبية الشمولية للاستشراق على أنه بمومه معول من معاوض هدم الإسلام.

(1) انظر: هنري دي كاستري. الإسلام خواطر وسياق. المرجع السابق. ص 7.
الإنصاف

هذا الطرح الديموغرافي التعددية حول الاستشراقة لا يُلغي ما لبعض المستشرقين المنصفين الجاذبين من جهود مимвودة في الإسهام في حفظ التراث العربي الإسلامي ودراسته ونشره وتحقيقه وترجمته، مما يؤكد النظرية المنصفة في دراسة الاستشراقة والاستمرار في إبراز هذه النظرية؛ تحقيقاً للعدل المطلوب.

وهل يمكن القول بأن نقد الاستشراقة يدخل في مفهوم الاستغراب؟ لا يظهر أنه داخل فيه؛ لأن جملة ممن انتقدوا الاستشراقة سلبًا لم تكن لهم عناية بفهم الغرب، بقدر ما سعوا إلى تنفيذ رؤى بعض المستشرقين تجاه الإسلام والمسلمين. وقد يكون فاتهم السعي - في سبيل نقد موضوعي - دراسة الغرب؛ لفهم اتجاهاته ومنهجياته في نظرته لنظرته لمجته الغربيين.

وهو إن يكن في بعض مجالاته كذلك فإنه لم يكن في جميع مجالاته كذلك. يقول محسن محمد حسين: "عليك ألا تضع المستشرقين جميعًا في سبيل واحدة، فالخطابات الصادرة عن ثقافة الغرب لا يمكن قراءتها بعين واحدة، فالغرب ليس كتلة واحدة، وإنما تشكّلت ثقافاتها من تيارات وقناعات ومناهج ينظر إليهم وأن يكون له خلفية مناهج.

(1) انظر: السيد علي السيد حسين، المستشرقون المنصفون وأثرهم في الدعوة الإسلامية، المنصفة: مكتبة كيفي، 1435هـ/ 2014م، ص 516-517
عديدة، وبالتالي فإنّ مواقفهم من شؤوننا وتكويناتنا الثقافية ومفرداتها ليست واحدةً. (1)

ويقول محمد القاضي: "إنه مهما وَجَّهت من تَهْم للاستشراق والمستشرين، لا بَدّ من إنْصاف بعضهم، وخصوصاً أولئك الذين أذَانوا للتراث العربي الإسلامي خدمات جليلة، سواء بأبحاثهم العلمية القيّمة، وتحقيقاتهم للتراث واكتشاف مصادره، وضعف فهارس مهمة يستفيد منها القارئ العربي والغربي في أبحاثه ودراساته". (2)

كما يقول عمر الطيفي العالم وهو يزعم كتاب تاريخ حركة الاستشراق ليوهان فوك: "ليس من العدل أن ننظر نظرة متجهّة، ونأخذ الكلّ بجريرة البعض، سواء ما كان منه فدائع التعصب الديني أو الطمع الاستعماري أو الغلو المنهجي. فكما وُجِّد من بين هؤلاء من قذف العربية واتّهمها بالعجز وقصر الأداء، وّجّد أيضًا من شُغفت بها واستبسل في الدفاع عنها، بل واتّخذ من شعرها الغزلي هديّةً لعروسه في يوم زفافها". (3)

وكان لهذه الانتفاضات الموضوعية العلمية أكثر من كونها


(3) انظر: يوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين. مرجع سابق. ص 10.
فكرةً - أثر على المستشرقين أنفسهم، عندما قرأوا هذا الطرح الهادئ الذي كان إلى مخاطبتهم ومخاطبة عقولهم وأذهانهم وصروحهم العلمية أميل منه إلى مخاطبة المتلقيين "المحلّيين". وإن جمع الخطاب بين الفئتين المحليّة والخارجيّة فذاك ما تقضيه الموضوعية والطرح العلمي. فكان لهذا أثره على الثقافة المستشرقين أنفسهم، وربما التفاف فريق منهم على المصطلح والتبرؤ منه؛ لما شعروا بأنه لم يعد يحظى بالقبول لدى الفئة المستفيدة غالبًا من إسهامات الاستشراق والمستشرقين.

يقول محمد نجم في مقالته عن الاستشراق: "بعد كل النقد الواسع الذي حاول كثير من الدارسين من خلاله تفكك بنية الخطاب الاستشراقي، سواء في ما يتعلق بالدور الذي لعبه في خدمة المشروع الكولونيالي الغربي والتعبير عن الرغبة في امتلاك عالم الشرق، أو في ما يخص البحث عن المثير كما ظهر في تمثيلاته وسردياته التي جعلت من الشرق عالماً من الحكايات وأرض البربرية والجنس، بوصفها انعكاسًا لحالة من إغواء الرغبات أو تعبيرًا عن حاجة المخيلي الغربي للإثارة والغرابة التي كان يبحث عنها، فإن أن صنع من هذا الشرق ذلك العالم المثالي الذي تتجسّد فيه تلك الصورة.

بعد كل هذا النقد الذي جعل من الاستشراق تهمة تلاحم أصحابها، Alla يجدر بالبحث العلمي الموضوعي أن يتداول الجوانب الإيجابية للاستشراق أيضًا، بعد أن لعب دورًا مهمًا في الحفاظ على الكثير من تراثنا الثقافي في وقت كان فيه هذا

86
التراث عرضة للضياع والإهمال، حتى أصبح كل باحث متخصص في دراسة التراث العربي يحتاج إلى زيارته مكتبات الغرب للحصول على المخطوطات والكتب التراثية النادرة الموجودة هناك.

ويؤكد الباحث في الشأن الاستشراقي مازن مطبقياني على أن أزمة الاستشراق المعاصر تعود إلى سبب إسلامي، يضاف إلى الأسباب الأخرى التي نتجت بنفاذ الأسباب الخارجية التي تخص الاستشراق بصفتها حركة فكرية غربية. فقد أدّت الصحوة الإسلامية إلى تطور وعي ديني قوي، أدى إلى عودة إسلامية إلى مصادر الدين، وإلى حركة علمية إسلامية ضخمة تناولت جميع جوانب الفكر الإسلامي، كما أدّت إلى معرفة إسلامية جديدة بالغرب وحضارته وثقافته.

عند الدخول في تحليل هذا الفهم فإنه يؤدي إلى نواة الاستغراب التي يدعو إليها بعض العرب والمسلمين، كما يدعو إليها بعض المستشرقين، ومنهم المستعربون والمهتمون بالحضارة العربية والثقافة الإسلامية من غير المستشرقين. من أمثال رودي بارت (1901-1983م).

المصادر:

87
وقد أصبح المسلمون - بفضل الله ثم بفضل هذه الصحوة - على وعي كافٍ بالاستشراق، بصفته في عمومه حركةً من الحركات المناهضة للإسلام، فترجمت بعض أعمال المستشرقين إلى اللغة العربية ولغات إسلامية أخرى، وكتبت مؤلفات إسلامية باللغات الأوروبية، تقدم الإسلام إلى الغرب بصورة سليمة.

وتنتج عن هذا حركة إسلامية نقدية لأعمال المستشرقين. وبدأ المسلمون يتعاملون مع الاستشراق عالمياً، يقدرون سلطاته ويحترمون إجاباته، ويشتركون في مؤتمرات المستشرقين. وبدأ ظهور بعض الشخصيات العلمية المسلمة في الجامعات الغربية ومراكز بحوثها، وهم بلا شك يساهمون في تغيير الصورة الاستشراقية التقليدية عن الإسلام والمسلمين. ومن أمثال هؤلاء الدكتور إسماعيل راجي فاروق، والدكتور خالد يحيى بلانكشب، وجاكسون، وسليمان نيانج، وإبراهيم الغاني، وغيرهم - وأن كانوا قلة. (1)

وكان لهذا البعيد الآخر من أبعاد هذا المسار تأثيره المباشر في إعادة النظر في المسار الاستشراقي برمته. فقد تمكّنت هذه الفئة من العلماء المسلمين الدارسين في الغرب والمشارّسين فيه

---

من تصحيح بعض الأخطاء التي كان المستشارون يرتكبونها في
تعاملهم مع الثقافة الإسلامية وتفسيرهم للمواد العلمية فيها.
ودخلوا مع المستشارين في مناقشات علمية.

يقول واردنبغ في هذا الصدد: «علي أي حال فالانتقدات
الإسلامية ذهبت إلى أبعد من ذلك، فدخلت في جدل فيما
يخص بعض الأفكار العالم للمستشارين، مستخدمين بذلك
حجة دامغة لا يمكن إثباتها ولا دحضها لا بد أن ينظر إليها
بصفتها جزءا من احتجاج أوسع ضد الهيمنة الغربية.» (1)

يقول أبو الحسن علي بن حسني الندوي (1333 - 1420 هـ/
1914 - 1999م) - رحمه الله - في هذا النوع من الالتفات:
"وقد تأثير المستشارين السليبي وإصلاح هذا النشاط يجب أن يقوم
علماء الإسلام ورجال البحث والتفكير بالكتابة حول الموضوعات
العلمية، ويقذموا للعالم الإسلامي المعلومات الإسلامية
المؤكدة، وجهة نظر الإسلام الصحيح، مع مراعاة الجرائز
المحمودة التي يمتاز بها المستشارون، بل والزيادة عليها." (2)

ومع كثرة المشور في هذا المسار نظل الحاجة قائمة إلى
المزيد من هذا النوع من الالتفات، كما تقول سماء زكي

(1) انظر: جان دي جاك واردنبغ: المستشارون - مرجع سابق - ص 60.
(2) انظر: أبو الحسن علي الحسني الندوي. الإسلام والمستشارون: نظرية
فاحصة في كتابات المستشارين وبحوثهم واستعراض إجمالي لأدب الدعوة
في اللغات الأجنبية والعمل التحقيق في موضوعي في العالم الإسلامي.
دمشق: دار ابن كثير، 1437/1914م - ص 15.
المحاسني: «ورغم وجود العديد من المؤلّفات العربية والجهود الكبيرة حول هذه الفئة من الغربيين الباحثين في التراث العربي، فيجب القيام ببحوث مستمرة لتقدير وتقييم [نحو] ما أنجزوه ما بين نشر وتحقيق أو نقل إلى لغاتهم، مما يسهم في العمل على تطوير وتنمية الدراسات للاطلاع على حركة تطور الاهتمام بالثقافة والتراث الفكري الأدبي العربي حتى يومنا هذا» (1).

ومع هذه الالتفاتات المتنوعة تأتي الالتفاتة إلى واقع اليوم، ومحاولة الانعتاق من الارتباط بذلك المدد التي خدم فيها الاستشراق حركات لم تكن إيجابية مع المجتمع المسلم، كالاحتلال والتنصير. بحيث يُنظر إلى الاستشراق من خلال صورته الحاضرة، ويوقوّم بموجب معطياته الحاضرة، واهتماماته الآنية التي قد لا تخلو من معاضدة للإمبريالية والهيمنة والعولمة، وغيرها من التبعات التي تزال تعمل في الساحة. (2) وهذا مما يُعدّ نقلة نوعية معاصرة في هذا المسار. (3)

(1) انظر: سماه زكي المحاسني، التعريف بمجموعة من المستشرقين وجهودهم في الدراسات الأدبية واللغوية وفي إعداد فهرسة المخطوطات العربية، مراجع سابق، ص 8.


(2) انظر: عبدالأمير الأعصم، دراسات في الاستشراق، دمشق: دار الفرقان، 1422 هـ - 2011 م، ص 80.

90
3 - المسار الثالث

الفنات العرب والمسلمين أنفسهم إلى تراثهم بالدراسة والتحقيق والنشر، بصورة أوسع مما كانت عليه من قبل، وتسلب طلّاب الدراسات العليا وغيرهم من العلماء والمحقّقين على البحث عن المخطوطات واستردادها من المكتبات والمتاحف الغربية، وجعلها مجالاً للدراسة والتحقيق والنشر في مختلف المجالات المعرفية، معتمدين قليلاً على المخطوطات الأصلية، وكتيرًا على المصوّرات من المخطوطات، على اعتبار أن جزءًا كبيرًا من الأصول محفوظ في المكتبات والمتاحف الغربية، فيجري تصويرها - بحسب نظريات وسائل التصوير - ثم التفطّي مع المحتوى بغض النظر عن الوعاء.

وتبقى مسألة استرداد أصول المخطوطات إلى المكتبات العربية، مسألة تعالجها القوانين الثقافية الدولية، من خلال المنظّمات الثقافية والعلمية الدولية كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو)، ومن خلال العرب والمسلمين المشاركين بفاعلية في هذه المنظّمات، مما يؤيّد فكرة التفاح العرب والمسلمين إلى تراثهم بحماية وحفظه وإعادته إلى محاضنه، بعد أن يتولّد لدينا عنصرًا الاقتناع والإرادة في الخلافة عليه.

وكما ناقشت بعض الطروحات العربية صورة العربي في الدراسات الاستشاعية الحديثة، وكذلك في الطرح الإعلامي.
السريع، القائم غالبًا على الإثارة، فإن بعض الغربيين يعاني كذلك من الطرح العربي بصورة الغربي في الدراسات التي تصدّت للاستشراق، كما تصدّت لصورة الغربي في الإعلام الغربي، مما أدى إلى محاولة الإساءة للإنسان العربي، الذي يبني اليوم حضارةً قائمة على العلم والثقافة، وسعى إلى التخلّص من خلفياته الدينية وتقاليده الاجتماعية وسلوكيةً العالم والذاتية الإقتصادية إその他 استطاع. ومثل هذا الطرح هو ما يمكن أن يصدق عليه بأنه نواة للاستغراب.

التخلّص عن التراث

على أن هذا النهج في ملاحة التراث الإسلامي بالدراسة والتحقيق لم يسلم من أولئك الذين رأوا في الحداثة الفكرية والأدبية مخرجًا من المآزق الحضاري الذي تعشه الأمة. فلم ترحّب هذه الفئة بالعناية بالتراث ودعت إلى التخلّص عنه، وأطلقت الصفات والأحكام على المشغّلين بذلك من أصحاب «الكتب الصفراء» التي تُعيد الأمة إلى الماضية والتخلّف والرجعية! في الوقت الذي يّعكّف فيه المستشرقون على إخراجها.

والمفلت في هذا المقام وفي هذه الانتفاضة المباركة أن بعضًا

---

من دارسي العربية والإسلام من أمثال دومينيك شوفاليه، وهو مستشرق فرنسي، يدعو العرب إلى التخلّي عن تراثهم ودينهم، في سبيل تبلي هذه الحضارة القائمة على العلوم والثقافة. (1)

وتأتي الدعوة للعولمة التي أثرت على كثير من المعطيات الثقافية والعلمية. ولم يسلم منها الاستشراقيّة، إذ تأثر الاستشراقيّ من العولمة تأثراً سلبياً، أدّى إضعاف تأثير الاستشراقي في بعض مناحيه على الدعوة إلى التخلّي عن الثوابت الدينية عند المسلمين، واختار دين معتدل على الطريقة الأمريكية. (2) يقول نديم نجدي: «لقد شكّلت العولمة إعصاراً حضاريّاً، أطاح الكثير من الثوابت الاستشراقيّة القائمة في الأصل على دفائن سريتهم غير الإرادية. أي على مساحة قوضت بفعل ثورة الاتصال والتواصل التكنولوجي التي تعداد نطاق تأثيرها النمطية للاستشراقيّة، إلى ما بات يؤثر حكمًا في نظرة الغربي، كما الشرقي إلى ذات نفسه.» (3)

وموضوع أثر الاستشراقيّة في العولمة أو أثر العولمة في الاستشراقيّة إيجابًا أو سلبيًا، أو تزامن الاستشراقي مع العولمة

---

(2) نظر: صالح بن عبدالله العامدي. الإسلام الذي يرده الغرب: دراسة تحليلية تقدية لقرآن مؤسسة رايت. 360 ص.
والتفاقي بينهما في بعض الأهداف، كلما موضوعات طويلة تحتاج إلى أن يُفرد لها البحث الخاص قد يشمل المقارنة بينهما فيما له علاقة بالخلقي عن التوابع، وقد يرقي البحث إلى أن يكون كتابًا مستقلاً.

والمتوقع والمتظرف هنا أن العربي وغير العربي لن يتمكن من التعلّي عن تراه ودينه، والاستعاضة عنه بحضارة العلوم والثقافة، وإنه دعا إلى ذلك بعض الداعين داخل المحيط العربي وخارجه، وإن دعت إليه كذلك فورة العولمة التي لم تجد صدى يذكّر، فبدأت في الأفول، إذ سيطر البعد الدينى والثقافي عالمًا في فكر الشعوب والحكومات، يصعب اقتلاعه بإيجاد بديل آخر عنه تحت أيّ اسم، مهما كان هذا الاسم براءًا كالعولمة مثلًا، ومحاولة صغر العالم في بوتقة القرية الكونية، ولذا ظهر في الأفق الثقافي مصطلح الاستثناء الثقافي الذي دعت إليه فرنسا في وجه زحف الأمومة - وليس العولمة - على البيئة الثقافية الأوروبية.(1)

على أن هذه العولمة الثقافية لم تستطع أن تتحلى عن خلفيتها الدينية بحال، فقد طالعنا الكتب التي نشرها مركز دراسات الوحدة العربية وغيره، عن الأبعاد الدينية في السياسات الغربية، لا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية.(2)

(2) انظر: يوسف الحسن، البعد الديني في السياسة الأمريكية نجاة الصراع...
وعليه فإنه لا يظهر أن العرب سوف يسلمون من دينهم وحضاراتهم، التي قامت على هذا الدين، ليتبينوا على حساب ذلك - حضارة العلوم والثقافة المجردة، ذلك أن العرب والمسلمين يدركون أن الدين هو الذي يدعو إلى العلوم والثقافة وإن تخلَفوا هم فيه، بلخلاف فهم بعض المنتمين الغربيين لديهم، الذي رأوا فيه مانعا من العلوم والثقافة مصدرًا لها.

ووَهذَا ما حدثنا منه موريس بوكاي (1920 - 1998) من أن يسري بيننا هذا الفهم، لا سيما بين الطلبة المسلمين الذين يدرسون في الغرب أي نوع من الدراسات، حتى لو كانت علمية تطبيقية أو تقنية بحتة. يقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي: «... إن التحدي حاليًا في الغرب عن الله في الأوساط العلمية يعتبر فعلاً علامة الرغبة في التفرد. ولنَهذا الموافق تأثير السبب على العقول الشابة (والسلامة منها أيضًا) التي تلقى تعليمنا الجامعي» .

يظهر كل من مصطفى الخالدي وعمر فروخ أكثر صراحةً

= العربي - الصهيوني: دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية. ط 2. - بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1997م. ص 242. -


ووضوحًا بقولهما: «وممّا لا ريب فيه أن ذهاب الطلاب الشرقيين إلى أوروبا وأمريكا يكسبهم شيئًا من أساليب الحياة الغربية، ومن الاتجاه الغربي في التفكير والعلم والسلوك، وما إلى ذلك. ولا ريب أيضًا في أن لذلك حسناً وسياحيًا، ولكن المبتكرين يريدون أن يفيدوا من دراسة الطلاب الشرقيين أمرًا آخر. إنهم يريدون أن يجعلوا من هؤلاء الطلاب «نصاريًا» بالفعل أو مماثلين للنصراينة. ويدخل في هذا الباب زواج المسلمين بالغربانيات.» (1)

ويستشهد بمتطلّب المستشرق الفرنسي لويس ماسيون (1883 - 1968م) المستشار في وزارة المستعمرات الفرنسية والراعي الروحي للجمعيات التنصيرية في مصر من أن الطلاب الشرقيين الذين يأتون إلى فرنسا يجب أن يتعلّمو بالمدينة المسيحية. (2)

من هنا يأتي الفرق بين دين يدعو إلى العلوم والثقافة، ويفرض على أتباعه التعلم والعمل والاحتراف، ويجعل ذلك بين فوض العين وفوض الكفاية، ودين عرف عنه أنه يحارب العلوم والثقافة ويصدّر العلماء والمبدعين، ويجعل هذا كله شكلاً من أشكال الهرطقة، التي لا تنال ولا تتفق والتوجهّ الديني.

(1) انظر: مصطفى الخالدي وعمر فُؤوخ، البشير والاستعمار في البلاد العربية. - مرجع سابق. - ص 88.

(2) انظر: مصطفى الخالدي وعمر فَؤَوخ، البشير والاستعمار في البلاد العربية. - المرجع السابق. - ص 89.
لعل من أسباب دعوة بعض المستشرقين إلى التخلّي عن الدين والتراث لدى العرب - والمقصود هنا المسلمون - هو فهم الدين الإسلامي بالفهم الغربي للدين. (1) يقول أبو الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله تعالى - : "وقد شعر المستشرقون - بعد تجربة طويلة - امتدت نحو قرنين أن الظاهرة التي مارسوها في تطوير عقلية المسلمين، وتسييرها وفق المُتلّغة العربية والانْتَجاهات المالية، لم تنجز حتى النجاح. وعثروا على الخطأ الأساسي الذي سبّب لهم الفشل، وجعل جهودهم لم تشر كل الأثر.

وقد واجهت بعض الأحيان ردًا فعليًا عنفًا من الأوساط الإسلامية، كان خطرًا كبيرًا، من وجهة نظر الدعوة البشيرية. فما زالوا يتفقدون جهودهم ونتائجها وتأثيرها، في ضوء الحقيقة، حتى وصلوا إلى نتيجة أنهم يحذرون - في طريقتهم وأسلوب دعوتهم - تغييرًا أساسيًا. وذلك بأن يعرضوا للإسلام تعبيرًا جديدًا، ويشنو حركة إصلاح الدين، بدلاً من أن يغيّروا عقلية المسلمين ويقوموا بتطويرها، وأن تبال جميع حركات التجديد وإصلاح الدين - حينما وجدت - تشجعًا وتأييدًا منهم". (2)

(1) انظر: إحسان علي الحسني، "فسلة الدين في الفكر العربي"، ١٠، ٣٦٠ ص.
(2) انظر: سيد عبدالماجد الغوري، "مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين لعملية الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي"، دمشق: دار ابن كثير، ١٤٢٣/٢٠٠٢م، ص ٢١.
ومن التعبيرات الجديدة مثلاً ظهور مصطلح «الإسلام السياسي» الذي يردده بعضَ مفكري الغرب وبعض مثقفيه إعجاباً به، مع أنه عند إطلاقه يراد به تلك الجماعات والأحزاب التي ظهرت على الساحة الإسلامية مسميةً بأسماء ومصطلحات إسلامية، لكن يشكو في مطالبتها وأفكارها وأهدافها، بحيث أصبحت لدى المرؤّسين لهذا المصطلح «الإسلام السياسي» منظومة إرهابية. فصار إطلاق هذا المصطلح مدعأةً إلى نسب الإرهاب للإسلام، واتهامه به. ومثل ذلك إطلاق مصطلح الوعيّة التي زُبِّطت في الفكر الغربي بالإرهاب.

4 - المسار الرابع

النفـات الاستشراق نفسه إلى ذاته، وإعادة ترتيب أوراقه بما يلائم الحال القائمة. ولا يُقصّد هنا النفاثات الموضوعي، الذي سيأتيه بيانه، بل ذلك النفاثات نحو التعاطي مع الشرق عمومًا، والشرق العربي الإسلامي خصوصًا، بحيث يختلف الخطاب في مناقشة القضايا ذات العلاقة بالإسلام أو بالعرب عبّا كان عليه من قبّل. إذ يمكن القول إن الاستشراق المتجدد (Orientalism) ما قيّد يسعى إلى الخروج من عباء الاستشراق القديم. ويستدزى كذلك إلى تقديم نفسه للعرب والمسلمين على أنه لا يحمل أوزار المستشرقين التقليديين الذين يرى العرب فيه أنهم في معظمهم لم يكونوا منصفين للإسلام والمسلمين.

98
ولا للتراث والثقافة الإسلامية. وأن الاستشراق اليوم يمثل جزءًا من ثنائية الشرق والغرب في ثنائية متناهية لا متضادة. (1) على أن الباحث العميق في الشأن الشرقي والاستشراقي ضياء الدين سردار ينفي مقولة الاستشراق الجديد أو المتجد، وأن الاستشراق التقليدي يجدد نفسه (neo-Orientalism)، دون أن يخرج من عباهته القديمة. وأنه يعود الآن ليحتل مكانة مرفقة في المؤسسات الأكاديمية ومراكز البحوث الغربية وكذا الإعلام العربي، بعد تزايد الاهتمام بالإسلام والعالم العربي. فعادت الإصدارات الضحلة والأفلام التي ترسخت الصورة النمطية عن العرب والمسلمين، تلك التي كان الاستشراق يروج لها طيلة ثمانية قرون. (2) وهو موقف لم يكن في الغالب الأعمّ إيجابيًا مع الإسلام والمسلمين. (3) وقد قال بهذا الرأي قبله فاضل الرجل في كتابه «ما بعد الاستشراق»، إذ يقول: «إنّ عالم العرب الروحي والثقافي


(2) انظر: يورجن تودينهوفر. الصورة العدائية عن الإسلام/ ترجمة نحلة ناجي.- القاهرة: الدار المصرية، 2013م.- ص 94.
وهو السياسي والاجتماعي والاقتصادي هو الحقن النموذجي الذي يدرس ما بعد الاستشراقة اليوم وبأدق التفاصيل. وهذا الحقن يخصص في الصيف الأهداف المباشرة للسياسة الاستعمارية الجديدة» (1)

ولذلك يصر هذا الباحث على أن ما يسعى بالاستشراق الجديد أو ما بعد الاستشراق، إنما هو استشراق متشدد (Orientalism)، بتغيير في الوسائل لا في المفهوم. ومن ذلك أن التغير في الطرح الاستشراقي المتشدد (neo-Orientalism) إنما في الوسائل والتعاون مع الواقع. بحيث إن ذلك البدو العربي ذا الأسنان الطويلة قد حل محله عربي مسلم ذو لحية طويلة. (2)

ومن اللافتات بين المستشرقين أنفسهم أن يعمد الاستشراق المعاصر إلى المزيد من الموضوعية في مناقشة القضايا الإسلامية الترابية والمعاصرة. وقد يعني هذا انسلاخ الاستشراق عن المؤثرات التي قام لخدمتها، سواء أكانت دينية أم سياسية أم غير ذلك. (3)

---


(2) انظر: فاضل الرباعي. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء. المرجع السابق. ص 16 - 17.

ويؤكد الباحث في الاستشراق السيد الشاهد هذا المنحتي بقوله: «لقد ظهر في الاستشراق الأوروبي بصفة عامة، والآلماني بصفة خاصة، نتائج جديد ينزع إلى رؤية جديدة للإسلام تتعلق إلى حد بعيد عن النظرة المذهبية أو القومية أو العرقية، وتجاهد دراسة الإسلام باعتباره ظاهرة اجتماعية أو حركة إصلاحية استهدفت تحرير الإنسان من تصورات قديمة، لا تتفق مع مكان الإنسان في هذه الطبيعة».

ومما أعاد على هذه الرؤية الجديدة للإسلام استعانته المستشرقون بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالمسلمين الموجودين بينهم، ومن بينهم الطلاب المسلمون. إن العدد المتزايد للطلبة المسلمين في الدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية يعني أن إمكانات التعليم والاتصال قد تضاعفت لا في مجال التعليم فحسب، وإنما في مجال البحث أيضًا. وأيًا كانت الأفكار عن المستشرقين في الدول الإسلامية فإن الاتصال المباشر معهم في الغرب أصبح ممكنًا على نطاق واسع لا يمكن تخيلها قبل الحرب العالمية الثانية.

فهل هذا الالتفات من قبلى عدد غير قليل من المستشرقين


(2) انظر: جان دي جاك واردنبرغ. المستشرقون. – مرجع سابق. – ص 18.
يوحي بأن الاستشراق قد نجا نحو التعلم، بحيث وضع مكان
ثنائية المسيحي - الوثني ثنائية الغربي - الشرقي أو ثنائية الحديث
- غير الحديث؟(1)

ولعل من أسباب هذا الالتفات أن الوظائف التاريخية
للإنسان التقليدي قد استنفدت أغراضها الأصلية، بعد أن
تراخت أهداف الاستشراق ثم تلاشت مع الحلول والتصورات
الإسلامية والمردية التي ابتكرها؛ وثانياً فهي تبدو وقد نزعت عنها
بهرجة «الاكتشافات العظيمة» وأبهة «الفتوحات العلمية» مجرد
أهداف ووظائف مستندة ومتاحة، وربما عديمة القيمة، أو لم
تعد قائمة إلا في حدود ضيقة». (2)

فما عادت للاستشراق سلطته القديمة، التي كانت حتى
الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري/ السبعين من القرن
العشرين الميلادي. فالتاريخية التي قام عليها الاستشراق تكاد
تستنفد أغراضها. وقد صدرت في العقود السبعة الأخيرة مئات
البحث القصيرة والطويلة في نقد الاستشراق منهجيًا أو بشكل
محدّد. (3)

______________________________

(1) إنظر: وائل غالي. ما بعد الاستشراق. 2 مي. - القاهرة: دار الهلال،
2007 م. 2: 468-469.
(2) إنظر: فاضل الريفي. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة
الكولونيا. ت. مرجع سابق. ص 38-39.
(3) إنظر: زهوان السي. الأنثروبولوجيا والتأريخ والاستشراق. 2 الإعادة.
وقد تهيأ لي في زيارة خاصّة لدار بريل للدراسات والنشر في لايدن بهولندا - أن أحضر عرضًا في الدار عن دائرة المعارف الإسلامية التي صنعتها المستشرقون في نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي في طبعتها الأولى (1880م)، ثم الطبعة الثانية التي بدأت في منتصف القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي (1954م)، ثم الطبعة الثالثة التي بدأت في هذا القرن الخامس عشر الهجري/ الحادي والعشرين الميلادي (2007م).

وما تزال الموسوعة تراجع وتتصدر بمجلّداتٍ تباعًا، فتبين لي مدى الفرق الواضح في الطريحسبين الطبعة الأولى والطبعة الثالثة التي هي الآن في الإعداد، مرورًا بالطبعة الثانية. والواضح أن الميل للإنصاف في الطبعة الثالثة أقوى منه في الطبعة الثانية، وهو أقوى بوضوح عنه في الطبعة الأولى، لا سيما مع دخول العنصر العربي المسلم في الإعداد والتحرير للطبعة الثالثة، وكونه من المشرفين المباشرين على التحرير.

5- المسار الخامس

التفاعلات العرب والمسلمين إلى دراسة الغرب بأقسامه وسماه ولغاته وثقافاته وتطلُّعاته وواقفته من الأمم الأخرى، وذلك في دراسات علمية وأكاديمية موضوعية، ومن ثم تكون عادلة ومنصفة. وأخذ هذا المسار اسم الاستغراب، بالمفهوم العلمي 103
لمصطلح، دون اختلاطه بمفهوم التغريب، الذي لا صلة له في هذا المجال الذي يسعى إلى فهم الغرب، لا إلى تمثيل ثقافات الغرب وسلوكياته في الفكر المجتمع. (1)

يقول واردنبرغ في هذا المسار: «ما إن أبدى المستشرقون الغربيون اهتمامًا بالحضارة والدين الإسلاميين حتى بدأ العلماء المسلمون يتطورون اهتمامًا متزايدًا في التاريخ المشترك بين العالمين الإسلامي والغربي، في القوى المختلفة التي شكلت التاريخ الأوروبي مثلاً. فبعد بضعة روايات لرحلات خلال العصر الوسيط «اكتشف» الأتراك العثمانيون العرب وطلاب من دول إسلامية يدرسون في أوروبا الثقافة الأوروبية. وتابع هذا الاهتمام باحثون مختصّون.، أظهر مفكّرون مسلمون مسبقًا خلال العصر الوسيط اهتمامًا عميقًا في الثقافات والأديان الأخرى غير الإسلامية. وربّما يبرز هذا الاهتمام مجددًا». (2)

وموضوع الاستغراب من هذا المنطلق له مباحث اليوم مستقلّة. (3)

(2) أنظر: جان دي جاك واردنبرغ. المستشرقون. - مرجع سابق. - ص 67.
(3) أنظر: علي بن إبراهيم النجلة. كُن الاستغراب: المنهج في فهمنا الغرب. - مرجع سابق. - 275 ص.
6ـ المسار السادس

التفاف المستشرقين على مصطلح الاستشراق، واللجوء إلى تفتيت الاستشراق وتوزيع مهامه على حقول المعرفة. وهذا المسار هو تركيز الفصل الآتي.

١٠٥
الفصل الرابع
الالتفاف على المصطلح

مع الثقافات العربية والمسلمين إلى ثقافتهم وتراثهم، المتمثل في عوامل عدة، منها العودة إلى الدين، وجود حوار حول التراث والمعاصرة، والدعوة إلى تمكين اللغة العربية، والانفتاح على الآخر، (1) ومع التفاف المستشرقين أنفسهم إلى موضوع الاستشراق، ومراجعتهم لمواقف من سبقهم تجاه الشرق عموماً والشرق الإسلامي خصوصاً، والثقافات العربية والمسلمين إلى النقد المنهجي الموضوعي للاستشراق في المسارات الخمسة التي سبق ذكرها في الفصل السابق. ومع هذه المسارات الخمسة ظهرت بين المستشرقين فكرة التخلي عن الاستشراق مصطلحاً لا مضمونًا، والتعتقل منه ورفض الانسنز إليه.

وظهر على الساحة العلمية والثقافية مصطلح الاستشراق

(1) انظر: محسن جاسم الموسوي، الاستشراق في الفكر العربي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1993م، ص 45-60.
الجديد. فهل الاستشراق الجديد أو المتجدّد Orientalism 
التقليدي أو الكلاسيكي بأدوات ووسائل أخرى للإمبراطورية القديم؟ كما يرى فاضل الربعي؟

كانت هناك "نهضة" فكرية وعلمية عربية وإسلامية 
واستشراقية مناهضة للاستشراق في وجهه القائم، تمثلت في 
كثيراً من الدراسات على المستشرقين، فيما أسهموا به من دراسات 
и تحقيق، وخير، مما أسهم على مصطلح "الإمبراطورية" ومصطلح 
"الإمبراطورية" تبعاً لivel السبب. (2) يقول إدوارد سعيد: "ومع مرور 
الزمن اكتسبت كلمة الاستشراق شهرة واسعة باعتبارها لفظة 
هجرية وتشهير. (1) ومن المفارقات اللاذعة أني شخصيًا وحقمت 
من قبل إذاعة ياسر عرفات الرسمية أثناء زيارة قمت بها إلى 
فلسطين سنة 1996 بتهمة "أني مستشرق".

ويقول رضوان السيد في هذا: "مع صعود الحركات 
الإحصائية في النصف الأول من القرن العشرين، وتفاقم سوء 

---
(1) انظر: فاضل الربعي. ما بعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعدوة 
الإمبراطورية البيضاء. مراجع سابق. ص 39.
(2) انظر فقرة: النفقات المسلمين. ص 64. (3) في: علي بن إبراهيم الحمد 
النجل. المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقق 
(3) انظر: إدوارد سعيد. الثقافة والإمبراطورية. نقلها إلى العربية فرد له كمال أبو 
العلاقة مع الغرب وثقافته، صار الاستشراق بصورة متزايدةً - جزءًا من العلاقة السيئة بين الشرق والغرب. وبذلك تضاءل الاهتمام بقراءة التطورات المنهجية الجديدة في الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الغربية، كما يبدو ذلك في قراءات عمر فروخ ومصطفى السباعي ومحمد البهي.(1)


عليها، وربما قبلها أيضًا، والاستشراق يمر بمرحلة تحوَّل جذرية في بعض اهتماماته، لا فيها كلها، فلا يحسن التعميم في هذا التغيير في منحنى الاستشراق.

ولا ينبغي إغفال الوقفات العربية والإسلامية في نقد الاستشراق قبل هذه النماذج المذكورة أعلاه، مرورًا بإسهامات الرواد من أمثال جمال الدين الأفغاني (1838 - 1897 م) في تضييقه للمستشرق الفرنسي إرنست رينان (1823 - 1892 م)، ومحمَّد عبده (1266 هـ - 1323 هـ/ 1849 م - 1905 م)، ورشيد رضا (1282 هـ - 1354 هـ/ 1865 م - 1935 م)، ومحمَّد شاكر (1327 هـ - 1418 هـ/ 1909 م - 1997 م) في رسالة في الطريق لتفافتنا وأباطيل وأسامار، وحسين الهراوي وأحمد فؤاد الأوهاني وعبدالوارث كبير وصلاح الدين المنجي، وغيرهم من رواد تقد الاستشراق من المتأخرين من مثل عمر فرخ ومصطفى خالدي وأبي الحسن النذو ومحمود حمدي زقوت وقاسم السامراوي والسيد الشاهد ومازن المطبخاني، وآخرين يصعب رصدهم هنا.

إلا أنَّه ربَّما أنَّ ما يميز تلك الأعمال الثلاثة المذكورة أعلاه جرأتها أوَّلًا، وثانيًا كونها نُشرت لسَبَّا أعمال أنور عبدالملك وفرانشيسكو غاربيلي وإدوارد سعيد بلغات أوروبية، من قِبَل ناشرين غربيين، فتلقَّاهما المثقفون من الغربيين تلقيات متفاوتةَ.

منذ هذه الالتفافات الناقدة للاستشراق والمُستشرقين وبعض المستشرقين المعاصرين يحاولون الالتفاف على مصطلح
الاستشراقة، ويستبدلون بهما مصطلحاتٍ قد تكون أكثر خصوصيةً من المصطلح الأخصر، وداخله في دخول الخاص في العام، أو دخول الأخصر في العام. يقول محمود موفق الأرناؤوط: "لم يعد من المبالغة القول إن كتاب إدوارد سعيد "الاستشراق" أصبح يؤرخ به، أي ما قبل وما بعد "الاستشراق"، حيث إن صدور هذا الكتاب بطبيعته المختلفة أثر - ولا يزال يؤثر سواء في دواير الاستشراق أو في دواير البحث حوله، مما أنتج ما يمكن أن يسمى "مراجعة الاستشراق".(1)

لقد حاول بعض المستشرقين المعاصرين الالتفاف على المصطلح رسميًا في مؤتمرهما التاسع والعشرين، الذي عقد في باريس في ١٤/٥/١٣٩٣ - ١/٦/١٣٩٣، بمناسبة مرور مئة عام على بداية عقد مؤتمرات المستشرقين من خلال المؤتمر الأول للإشتراق في باريس نفسها سنة ١٨٧٢ - ١٨٧٣. وكانت مناسبة جيدة لإعادة النظر في طبيعة المؤتمر ووظائفه. فقد دار في المؤتمر التاسع والعشرين هذا نقاش وتصويت حول تغيير اسم المؤتمر والمؤتمرات الآتية بعده؛(2) ليكون الاسم الجديد هو


المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية حول آسيا وشمال أفريقيا. (1) ثم صار الاسم المؤتمرات العالمية للدراسات الآسيوية والشمال أفريقيا.

وقد عارضت ألمانيا ودول الكتلة الشرقية هذا القرار، ولم تسر في ركابه. (2) ولذلك لم يستقر أي عنوان بديل للمؤتمرات اللاحقة. وظل المصطلح الاستشراق والمستشرقون حاضرين في المؤتمرات، وفي تسمية الجمعيات العلمية الشابة.

أما المستشرقون الذين لم يوافقوا على إلغاء المؤتمر الدولي، فأكثرهم من المستشرقين الألمان ثم الروس، ولذا اتجهوا إلى تنظيم مؤتمرات خاصة بهم، وانضم إليهم خلال العقود الأربعة الأخيرة عدد من نظرائهم، لا سيما من فرنسا، وظلوا إلى الآن محافظين على الاهتمامات القديمة نفسها التي تدور حول أعراب خمسة:


(2) انظر: مازن مطبطي في موقع مركز المدينة، نقلاً عن: تركي بن خالد الظهيري، الاستشراق عند إدوارد سعيد: رؤية إسلامية، مرجع سابق، ص 83.
1 - مواصلة جمع المخطوطات العربية والنصوص القديمة ونشرها وفهرستها،

2 - الإصرار على التدريس الجامعي،

3 - الاستمرار في إنشاء المعاهد والمراكز العلمية،

4 - الاستمرار في إنشاء مراكز البحوث،

5 - مواصلة تنظيم الملتميات الأكاديمية.

وبذيعي فارس هذا التوجيه برنارد لويس في الاتفاق على المصطلح أن المستشرقين «سرعان ما تبّين لهم أنهم متفقون جميعاً على التخلّي عن هذه النسخة (تسمية الاستشراق). وقد ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، ووصل بهم الأمر إلى حدّ المطالبة بإلغاء هذا النوع من المؤتمرات، محتّزين بالقول إنّ هذا الاختصاص ذاته قد انحل، ولم يجدّ يليّ هدفه أو حاجته.

ولكن للمؤسسات عاطفة البقاء، وهذا شيء طبيعي.

وفي هذا يؤكد رضوان السيّد في كتاب مجدد التقول: «لقد مات الاستشراق بعد أن أسىهم في صنع "إشكالية" الإسلام في

(1) انظر: صالح عبد الله حسن الغامدي. عندما يكون العلم سماة ناسكاً: دراسة تحليلية نقدية لموقف مراكز البحوث الأمريكية من الصوفية، الرياض: مركز الفكر المعاصر، ١٤٣٦ هـ، ٢٠٠ ص.

(2) انظر: عبد الرزاق بن إسماعيل هريش. الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس للمهجرة، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، مجلّة ١٥٢ - ص ٩٥ - ص ٩٦.
الغرب لكن الإسلام صار منذ عقدة عقود "مشكلة" عالمية مادّتها مليار ونصف المليار إنسان." (1) وعدد المسلمين يزداد بشكل مضطرد.

كانت هذه العاطفة من القوة بحيث إنها منعت حلّ المؤتمر. ولكن الاتّجاه الذي دعا إلى التخلي عن كلمة الاستشراق قد انتصر." (2) ويدعو برنارد لويس إلى تسعيّة لهذه المؤتمرات أفضل تستحقُّها دراسة الحضارة العربية - الإسلامية، من قبل غير المسلمين.

وليس صحيحًا أنّ المستشرقين كانوا متفقين جميعًا على زعم برنارد لويس -على التحلّيّ عن التسمية، فقد مرّ أن المستشرقين الألمان ومستشاري الكتلة الشرقية قد عارضت ذلك القرار. ولا يزال المستشرقون الألمان - وهم أصل الاستشراق بعد نهلهم من الاستشراق الهولندي ثم الفرنسي واستقلالهم وتميّزهم فيه - (3) متمسّكين بالمصطلح على ما سأميّ ذكره.


ينطلق فيها - كما يقول محمد موقف الأرناووط - أن الاستشراق في أزمة منذ السنين، منذ كتاب (مقالة) أنور عبدالملك «الاستشراق في أزمة» (1963)، وكتاب فرانسيسكو غابرييلي «دفاعًا عن الاستشراق» (1965)، وكتاب إدوارد سعيد «الاستشراق» (1968)، مما مهّد بدوره للنقاش أو الخلاف داخل الاستشراق البوسلافاني حول القضايا ذاتها التي كانت تطرح عند الآخرين، كالموقف من النزعة الأوروبية المركزية.

ولا يخفى أسعد دوراكوفيتش رأيه في أن الاستشراق الأوروبي إنما كان يهدف بالفعل إلى "تشريقي" الشرق للسيطرة عليه، مما أخذ يدفع الكثير من Orientalization العاملين إلى التحول من استخدام هذا المصطلح "الاستشراق"، والاستعاضة عنه ببدائل أخرى كاللغات الشرقية وآدابها والدراسات الشرق أوستية إلخ.

ومن هنا يرى دوراكوفيتش أنه في الوقت الذي أصبح فيه الكثير من المستشرقين في العالم يفضلون عدم استخدام هذا المصطلح (الاستشراق) فإنه من المبرر أكثر للعاملين في هذا المجال في البوسنة أن يدافعوا إلى تسمية جديدة لما يقومون به من عمل/ بحث علمي (الاستشراق). (1)

لا صحة - فيما يظهر - للقول بأنّ مصطلح الاستشراق لم يُستَعَب في ألمانيا اليوم، بعد صُدور كتاب إدوارد سعيد "الاستشراق"، إذ المصطلح المُستَعَب اليوم في ألمانيا - على حدٍّ قول من يقول بهذا - هو الاستعراض والدراسات الإسلامية. (1)

لا تظهر صحة هذا المنحنى لأنّ الألمان يُعذون من المتمسّكين بالمصطلح. ويؤيد هذا التمسك إنشاء جمعية مستشرقين ألمانية شابة (DAVO) Deutsiche Arbeitsgemeinschaft Vorderer Orient fuer gegenwartshezogene Forschung und Dokument

التي أسّسها المستشرقون الشباب سنة 1414 هـ/1994 م في هامبورج على يد المستشرق أودو شتاينباخ في ذلك العام. وتُعنى "دافو" بالقضايا المعاصرة للإسلام والمسلمين، في مزاحة منها لجمعية المستشرقين الألمان (DMG) العريقة التي تأسست سنة 1845 م. (2)

انظر: بليل عبدالكريم. مقارنة بين ظهورتى التنصير والاستشراق. - موقع http://www.alukah.net/culture/0/21816/#ixzz3p0Btegsd

وقد سبق في القول بأن هذه الجمعية الفتيّة قد تمثل قدرًا من الاستشراق الألماني المعاصر، الذي ينحو نحو دراسة الأحوال المعاصرة للعرب والمسلمين، بما في ذلك الأنثروبولوجيا والسياسة والإعلام، مما قد يفتح في الاستشراق الألماني الذي نأى بنفسه عن السياسة والإعلام، وإن استُمر إنتاجه أحيانًا لأغراض إعلامية وسياسية. فسایر بعض المستشرقين الشباب الإعلام (1) "بل تحوّل واحد منهم مثل "كونسلمان" إلى بوتي إعلامي خطيط ضد الإسلام، لكن المستشرقين الألمان لا يعدونه واحدًا منهم؛ لأنه نشأ إعلاميًا وعمل في الحقل الإعلامي." (2)

ولعل هذه الجمعية الفتيّة قد بدأت في الوقوف على ما نشأت من أجلها في تعاطيها مع الاستشراق، وذلك بتقديمها الاستشراق بثوب جديد، ربما يسمى الآن بالاستشراق الجديد، وما هو neo-Orientalism على ما يظهر - بحاجة، بل هو متجدّد يقول إبراهيم عادل: "ويعود الفضل للمدرسة الألمانية في صك مصطلح الاستشراق الجديد الذي يعكس مذهبًا جديدًا لدراسة العالم الإسلامي والعلاقات بين الهوية الإسلامية والهوية الغربية. ويقوم على تجديد افتراضات الاستشراق الكلاسيكي، ومتعلّبات الدفاع عن قيم الديمقراطية والحداثة.

(1) انظر: علي بن إبراهيم الإملاء. الاستشراق الألماني بين الموضوعية والتحري. في الإعداد. 71 ص.
 ويمثل (الاستشراق الجديد) في ألمانيا تحديداً إعادة تأهيل للنظريات الاستشراقية الكلاسيكية، في سياق يتميز بإعادة دراسة الإسلام والشرق، بعيدًا عن أدلة العلاقات بين الشرق الأوسط والدول الغربية، تعمل على تشجيع العودة إلى قراءة موضوعية للمجال الإسلامي، وبخاصة أنه معروف عن الدراسات الألمانية جدتها وموضوعيتها الصارمة المعتمدة على أساليب البحث العلمي. (1)

ومع هذا فيؤكد الخبر بالاستشراق الألماني رضوان السيد التحول بقوله: "تحول كبير من الدارسين الألمان للمشترقيّات في الثمانينات، بعد كتابات إدوارد سعيد وماكس تيرنر، عن تسمية أنفسهم "المستشرقين"، وصاروا يتحدثون عن الاختصاص بالدراسات الإسلامية وعلم الإسلام. بينما انصرف آخرون لاعتبار أنفسهم مختصين بالأدب العربي، أو بالآثار الإسلامية أو التاريخ الإسلامي؛ حسب تنوع مجالات اهتمامهم. (2) ولم يحل ذلك دون تعرضهم وكتاباتهم للهجمات من جانب فريقين من العلماء الغربيين؛ فريق النقديّين الجذريّين، وفريق أنتروپولوجيّ الإسلامي. (3)

(1) انظر: إبراهيم عادل، المدرسة الألمانية ومصطلح الاستشراق الجديد، المجلة العربية، 468 (محرم 1437/2016 م).
(2) انظر: رضوان السيد، المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر، مرجع سابق، ص 84.
(3) انظر: رضوان السيد، المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر، المرجع السابق، ص 84.
أسباب الالتفاف

هذا الالتفاف يثير تساؤلات بحث في الأسباب وراء هذا التوجه. فلماذا يتهرب المستشرقون الجديد من مصطلح الاستشراق المتجدّد (neo-Orientalism)؟ ومن ثمّ لماذا لا يرغبون في أن يقال عنهم إنهم مستشرقون، ويجبّدون أن يقال عنهم أي شيء سوى ذلك؟ ولماذا توجّه الاستشراق الجديد أو الحديث والمعاصر (neo-Orientalism) إلى علوم السياسة والاجتماع، لا سيّما الأثريولوجيا؟ (كليفورد غريتز وإيرنست غنر وميشيل فيلسن، وغيرها). (1)

هي تساؤلات تحتاج إلى عدد من الوقت، ذلك أنّ مصطلح الاستشراق كان يلتقى رواجاً في أنطلقته النهضة الفكرية العربية، وإنشاء وزارات المعارف والثقافة ومجامع اللغة العربية والمجامع العلمية ومراكز البحث العلمي وانتشار الطباعة ونشر الكتاب والدورياّ والمجلّة والصحيفة، فكان لهم أثر في ذلك كله مسجل في الوثائق. وكان بهم انبهار فاق الحد والعقل. وكانوا محلّ عناية وترحيب. وافتنّ بهم مفكّرون عربّ لأنهم

(1) انظر إلى البحوث المستفيدة التي نشرتها مجلّة الاجتهاد، التي كان بصدرها الفضل شلق ورضوان السيد، عن التحول من الاستشراق إلى الأثريولوجيا، في الأعداد ٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠، في صيف وخريف العام ٢٠٠٠ /١٤٢١، وشتاء العام ٢٠٠١/١٤٢٢، وربيع وصيف العام ٢٠٠١ /١٤٢٢.
مستشرين اشتدوا بالعلوم الإسلامية والعربية، وليس لأنهم أي شيء سوى كونهم مستعرضين. ومرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية بالإسكندرية سنة 1351 هـ/1932 م قد نص على أن يكون ربع أعضاء المجالس من المستعرضين - كما مر ذكره.

ما دامت هذه الحالة من الاحتفاء والانبهار قد غدت في خبر كان، كما هو واضح من هذا الطرح في هذه المقادمة، فإن تلك فكرة قد تكون مقبولة للتنتسل من المصطلح. وهذا هو الطرح القائم حاليًا، ولا يُعرف الآن إلا عدد قليل من المستعرضين، يقبلون بتصنيفهم أو نعتهم بالمستعرضين.

هذا الالتفاف على المصطلح لا يعني بالتوكيد نهاية المضمون، ومن ثم إزالة هذا المضمون من الخريطة الفكرية المعاصرة، وانتفاه أن يكون الاستشراق عاملًا فاعلاً من عوامل الحوار بين الشرق والغرب عمومًا، وبين العرب والمسلمين والغربين خصوصًا.

يقول رضوان السيد عن هذه الحالة: إن الاستشراق في حالة ركود فعلاً، ولا ينفصل ذلك عن حالة الركود الاقتصادي والثقافي بالغرب القديم. لكن ذلك لا يعني نهاية له؛ إذ إنّ

الظواهر سالفة الذكر تبقى خارجة، لا تسنى جوهر التخصص ومتراعباته. إنما يعترض الاستشراق حقيقة مسائل أخرى، فالمُتَحَدّثون عن نهاية الاستشراق الشيقة، يذكرون ثلاثة أسباب تسوّغ ذلك من الداخل. (1) ويذكر رضوان السيد هذه الأسباب الثلاثة، تفصيلًا، من خلال:

أ - تخلُف المناهج لدى المستشرقين،
ب - فقدان الخصوصية بين المستشرقين،
ج - تعدد مجالات اهتمامهم. (2)

ويضيف عبد الرزاق بن إسماعيل هرمش عن تضاؤل اهتمام المستشرقين بأعمال التحقيق وخدمة التراث المخطوط خلال القرن الهجري الخامس عشر الحادي والعشرين الميلادي الحالي:

الأسباب الآتية:

د - ضعف التكوين العلمي لجميع من المستشرقين المعاصرين.
ه - تقلُص الدعم الحكومي الذي كانت تحظي به أقسام الدراسات الشرقية.

2. انظر: رضوان السيد. ثقافة الاستشراق ومصائره وعلاقات الشرق بالغرب. ـ الفكر العربي. ـ المرجع السابق. ص 4 - 23. والنص من ص 8.
و - عزوف كثير من المستشرقين المعاصرين عن التخصُّص في هذا المجال.

ز - تراجع مكانة دور النشر المتخصِّصة، مثل دار بويل بمدينة ليدن في هولندا، وولفان في بلجيكا وفرنسا. (1)

________________________

(1) انظر: عبدالرزاق بن إسماعيل هرماش. الدراسات القرآنية عند المستشرقين خلال الرابع الأول من القرن الخامس للهجرة. - مرجع سابق. - ص 95 - 152.
الفصل الخامس

مستشارون
ملتفون على المصطلح

نماذج

لا يخلو الأمر والحاله هذه من وجود نماذج من المستشرقين كانوا صريحين في رفض تسميته المستشرقين، وفضلوا أن يسموا بما تخصصوا به أكثر من فروع الدراسات الشرقية، دون ذكر المصطلح "الاستشراق" أو المستشرقين في النسبية أو التصنيف المعرفي لهم. وهذه نماذج ممن أشاروا على من يسمون بذلك.

1 - فهذا المستشرق والرحالة البريطاني تشارلز داوتي (1843 - 1926م) يحاول التنصّل من مصطلح الاستشراق حين يقول: "إن الشمس جعلتني عربيًّا،
ولكنها ما شوهدت قطّ بالاستشراق)، وفي هذا تسريح
بأنَّ في المصطلح تشبهها لمن يُسمّى به. (1)

2 - ويتهرّب المستشرق الروسي القدير، ألكسندر كراتشوفسكي
الأستعراض الروسوي الجديد، أُغناطيوس كراتشوفسكي
(1883-1953 م) من المصطلح، ويفضّل عليه مصطلح
الأستعراض. ويؤكد ذلك في تاريخه للاستشراق الروسي،
في كتابه: تاريخ الاستعراض الروسي، إذ يقول: "العصر
الجديد في تاريخ الاستعراض الروسي بدأ من المرسوم
الجامعي سنة 1804؛ لأن هذا المرسوم أدخل تدريس
اللغات الشرقية في برنامج الدراسات العليا، وأسس
الأقسام الخاصة لهذه اللغات". (2)

3 - والمستشرق الفرنسي كلود كاهن (المولود سنة 1277 هـ
الموافق 1909 م)، لا يرى نفسه مستشرّقًا، بل هو مؤرّخ
للإسلام من العصر العباسي إلى العصر العثماني، فهو
مؤرّخ للشرق. (3)

وعندما سأل عبدالغني أبو العزم عن مفهومه

(1) انظر: آ. ج. آربري، المستشرقون البريطانيون. - مرجع سابق. - ص. 8.
(2) انظر: فاطمة عبد الفتاح، إضاءات على الاستشراق الروسي. - مرجع
سابق. - ص. 12.
(3) انظر: أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار
الاستشراق. - مرجع سابق. - ص. 34.
للإشراف، وعن حدوده الموضوعية في أعمال المستشرقين، أجاب: "بادئ ذي بدء أود أن أشير إلى أن المصطلح الاستشراق ينبغي إعادة النظر في دلالته التاريخية؛ لأن دلالته في المرحلة الراهنة لم تعد تتمكّن مع الواقع، ولم يعد يعبر في نفس الوقت عن مضمون علمي في مجال الأبحاث المتعلقة بالبلدان الشرقية. وفي رأيي ينبغي حذف هذا المصطلح بكل بساطة؛ لأنه لا يدل على علم قائم الذات". (1)

4 - المستشرق الفرنسي مكسيم رودسون (1910 - 2004 م) (2) يرى استبدال عبارة "دراسات شرقية" بالاستشراق، يقول: "لقد أثارتني مطالعة بعض الصحف العربية التي تتناول الاستشراق وكأنه حركة مثل البروتستانتية أو الماركسية، أو كانه علم الفيزياء أو الكيمياء. فالحقيقة هي غير ذلك". (3)

---


انظر: حوار مع المستشرق الفرنسي مكسيم رودسون. - ص 195 - 197. في: الاستشراق. - مرجع سابق. - ص 87 + 89. - 125
إنَّ كلمة الاستشراق عند مكسيم رودنسون لم تُعَد تعني شيئاً، إذ يقول: "إنني لا أستطيع أن أتحدث وأستفيض فيما ليس موجوداً. كذلك أقول بأنه لا يوجد شرق، وإنما شعوب، مجتمعات، ثقافات، وبالتالي لا يوجد استشراق أيضًا، وإنما توجد أنظمة علمية، لها موضوعاتها وإشكالياتها النوعية، مثل علم الاجتماع والاقتصاد السياسي واللغوية واللغة والفرع المختلفة للتاريخ". (1)

ويقول رودنسون في مجال آخر: "ليس هناك من استشراق أو علم صينيات أو علم إيرانيات، إلخ. هناك فقط تخصصات علمية محددة من موضوعاتها وإشكالياتها الخاصة، كعلم الاجتماع وعلم السكان وعلم الاقتصاد السياسي وعلم الأديانات وعلم الإنسان (الأثريولوجيا)، وعلم الأعراق (أو الأنثروبولوجيا)، ومختلف فروع التاريخ العام، إلخ. ويمكن تطبيق مناهج هذه العلوم على الشعوب والمناطق المختلفة في فترات مختلفة، عن طريق الاحذ بعين الاعتبار لخصائصات هذه الشعوب أو المناطق، ولتلك الفترات". (2)

---
(1) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستقرار: حوار الاستشراق. مرجع سابق. ص 37-54.
ويفضل رودنسون علم الإيرانيات على علم الفارسيات
على اعتبار أن تسمية بلاد فارس بإيران تعود إلى عرقها
الآري وتربطها به تاركيًّا منذ عقود السيدانيين. وقد
أعيدت التسمية على عهد الملكية البهلولية سنة 1935 م.
ومع هذا فقد امتازت الإمبراطورية الفارسية إلى ما قبل
قبل الميلاد.

5 - والمستشار الفرنسي جاك بيرك (1915 – 2004 م)
يقول: أنا باحث، أو يقول: أنا مؤرخ (1) ويري أنه «في
آفاق المعرفة العالمية لم يعد هناك استشراف، كما هو
الآن، لكن جناح شرقي للعلوم الإنسانية والاجتماعية،
مع باحثين من كل الأتجاهات، عاملين من أجل معرفة
أفضل بالواقع والمجتمعات والأشخاص، مهما كان
موقعهم» (2).

6 - والمستشار الألماني المعاصر هانس رومر (1915 م)
يصر على استخدام مصطلح علم الإسلام (3)

(1) انظر: مصطفى عبد القادر، ترجمة جاك بيرك للقرآن: من القراءة إلى

(2) انظر: أحمد الشيخ، من نقد الاستشراف إلى نقد الاستغراق: حوار
الاستشراف. 120، مرجع سابق، ص 5.

(3) انظر: رضوان السيد، الاستشراف والأنثروبولوجيا – الإجتهاد، 49.
- مرجع سابق، ص 5 – 9.

127
وأكثر هؤلاء الملفقين على المصطلح تطرقًا في التهرب من مصطلح الاستشراق هو برنارد لويس، (1916م)،(1) الذي يمتهن المصطلح، ويدعو إلى رميه في زبالة التاريخ، (2) هذا إذا كان للتاريخ زبالة! ويؤكد على رميه في مزبالة التاريخ، حيث يقول: «لقد أصبحت كلمة “المستشرق” منذ الآن فصاعدًا ملوثةً». ويقول أيضًا: «وهكذا تم رمي مصطلح “المستشرق” في مزبالة التاريخ. ولكن المزابل ليست أماكن مضمونة ولا نهائية. فالواقع أن كلمتي مستشرق واستشراق اللتين زُمِيتا من قبل العلماء بصفتهما لا جدوى منها، فقد استعيدتا من جديد، ووفقنا ضمن معنى مختلف: أي ككلمتين تدلان على الشطب والمماحكة الجدالية». (3)

ويقول برنارد لويس كذلك في مقام آخر: «لقد أصبحت كلمة “المستشرق” منذ الآن فصاعدًا ملوثةً هي الأخرى أيضًا، وليس هناك أي أمل في الخلاص. ولكن الضرر

انظر: الفصل العاشر فنيه وقفة مع المستشرق برنارد لويس، وأعماله العلمية والفكرية.

انظر: أميرة تحرير التسامح، العرب والإسلام والغرب والظروف الراهنة: مقاومة مع برنارد لويس، التسامح، مرجع سابق، ص 262- 272.

انظر: برنارد لويس، ساحة الاستشراق، ص 159 - 162، في: هاشم صالح، معد ومترجم، الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، مرجع سابق، ص 261، ص 168.
هنا أقول: لأن هذه الكلمة كانت قد فقدت قيمتها، وحتى أولئك الذين كانت تدل عليهم تخلّوا عنها.

على أن هذا ليس هو موقف المستشرق برنارد لويس الثابت، إذ سبق له تعريف الاستشراق بتفاصيل أكثر التصاقًا بالنظرة العلمية، فيرى في كتابه: الإسلام والغرب، أن "كلمة الاستشراق تستعمل في مفهومين فقط، الأول أن الاستشراق مدرسة من مدارس الرسوم، أي أن مجموعة من الفئتين، ومعظمهم من أوروبا الغربية، زاروا الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ورسموا ما رأوا، وما تخيّلوه، وذلك بطريقة رومانسية.") والعديد من الفئات الأوّل و هو المفهوم الشائع أكثر - ولا علاقة له بالمفهوم الأوّل، بل هو فرع من الفروع الأكاديمية، التي بدأت مع عصر النهضة." (2)

يذكر برنارد لويس تعريفه للاستشراق في موضع آخر من الكتاب، مؤكّداً البعد الإقليمي، بدلاً من الجهوي، بما في ذلك النزوع إلى الاستعراض، بدلاً من الاستشراق


(2) إنظر: عبدالمهدي على العليان، الاستشراق بين الإنصاف والإجحاف، الدار البيضاء: المركز العربي الثقافي، 2003م، ص 12، ص 12.
وبالنسبة لاصطلاح الدراسات العربية (Arabist) أي المستعرب، فقد خضع لعملية إعادة تعريف لدلالة هذه الكلمة.

ثمّ يعود لتعريف الاستشراق بأنه مصطلح غامض، فالمستشرق هو الذي يدرس الشرق ابتداء بالغرب وانتهاء باليابان، لذلك فإنّ دلالة المصطلح مبهمة. ثم يصرّ على إبداع المصطلح في مزارع التاريخ إنّ أمكّنة، ثم يقول: «ولكنّ هناك ناسا يبحثون في المزارع ليروا ماذا يمكن أن يجدوا. والمصطلح الآن ليس لديه أيّ معنى».

وهذا الذي يقول: أنا لا أحبّ هذا المصطلح، وذلك في إجابته عن السؤال: هل تُعد من المستشرقين البارزين؟

وينكر المستشرق الفرنسي دومينيك شوفالييه (1968م) المصطلح، ويحمله تبعات تاريخية ليست إيجابية، ولذلك نراه يقول: "كلمة مستشرق أُخذت ملامحّ

---


130
جداولة وخلافة في السنوات الأخيرة. ويعزوها بعضهم إلى الإمبريالية. وأنا أعتقد أن الاستشراق وُجِد من زمن بعيد في الغرب».(1)

ويلمح بهذا إلى كتاب إدوارد سعيد «الاستشراق»، ويقول في المجال نفسه: «أن تكون مستشرقًا يعني أن تكون مهتمًا بالشرق. وأنا مؤرّخ لتاريخ العرب المعاصر».(2)

(6) وهذا المستشرق الفرنسي المعاصر أندريه ميكل (1929) يرفض هذا التصنيف، ويردُّ على من أدخله في زمرة المستشرقين بقوله: «أنا أجهل معنى تعبير الاستشراق، تاريخيًا الاستشراق يعني أن باحثًا غربيًا يقوم بأبحاث حول الشرق، والشرق يمكن أن يكون العالم العربي أو الصين. أنا لست مستشراً، وأرفض هذه الكُنية. أنا عروبي سحري الادب العربي، فانكتب عليه بحثًا ودراسة».(3)

(1) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - مرجع سابق. - ص 105 - 111.

(2) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - المرجع السابق. - ص 105 - 111.

ويقول أندريه ميكيل في مقام آخر: «لست مستشرقًا، اهتمامي يدور حول اللغة والأدب العربيين، وبصفة خاصة الكلاسيكي، أي حتى القرن التاسع عشر، فأنما مختصّص في اللغة والأدب العربيين ... في النهاية - إذا شئت - فأن أنا أفضل أن أطلقوا عليّ لفظ مستعرب أكثر من مستشرق» (1).

ويقول كذلك في المجال نفسه: «الاستشراق - بالنسبة لنا في الغرب - كان يعني موضة ثقافية معينة، أخذت ملامحها من الاهتمام بأشياء الشرق وظواهره. وازدهر هذا الاستشراق في القرن 18 في الاتجاهين: الاتجاه الأول الذيقه أدبي رمزه اكتشاف "ألف ليلة وليلة" من خلال جالان» (2).

ويقول: «باختصار أنا أرفض مصطلح الاستشراق من منظور علمي» (3)، ويستطرد بالقول: «... إنني لست مستهقّا بنقد الاستشراق، لسبب بسيط، وهو أنني لست مستشرقًا» (4).

(1) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق - المرجع السابق - ص 81-88.
(2) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق - المرجع السابق - ص 81-88.
(3) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق - المرجع السابق - ص 81-88.
(4) انظر: أحمد الشيخ. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق - المرجع السابق - ص 81-88.
ويكرّر أندردي ميكيل هذا الرأي في مجال آخر، إذ يقول: "أنا الاستشراق هكذا فأننا لا أعرفه ولا علاقة لي به، وفي نفس الوقت أود أن ألفت الانتباه إلى هذا الصندوق، أن ما يهمني ليس هو الشرق وحده، بل العالم العربي من المحيط إلى الخليج، أده ولهته وحضارته، وهذا ما أحاول أن أتشقّص فيه على الأقل. ومن التفهمة أن نعتبر أن الشرق هو العالم العربي". (1)

والمستشرق الأمريكي المعاصر جون ل. أسبوزيتو (1960م) يرفض في محاضرة له في الرياض بالمملكة العربية السعودية هذا التصنيف، ويفضّل أن يُدعى بعالم الإسلاميات.

والمستشرق الفرنسي المعاصر كذلك جاك توبو يؤكد أنّه مؤرّخ للشرق، وليس مستشرقًا. وعندما حاوره مصطفى عبدالغني من جهة على أنه مستشراق قال: "لا! أنا مؤرّخ". (2) وعندما حاوره أحمد الشيخ من جهة أخرى

(2) أنظر: مصطفى عبدالغني. ترجمة جاك بيرك للفرآن: من القراءة إلى التفسير - الاجتهاد. - ع 49. - مرجع سابق - ص 115-137. - (هامش ص 117).
على أنه مستشرق قال: «مستشرق لا، كما لا أعرف إذا كان ما يزال هناك وجود لبعض المستشرقين أم لا. هذا مصطلح قديم ... بالنسبة إلى لست مستشرقًا، ولكنني مؤرخ للعلاقات الدولية. وفي هذا الإطار أرخت للمنظمة العربية في فترة محدودة».

(1) والمستشار الفرنسي المعاصر أيضًا دانيال ريج (2008م) يعرّف بكراهية المسلمين والعرب لمصطلحي الاستشراق والمستشرق، ويشير إلى الغموض الكامن فيهما، «والى تطابق مصطلح «الاستشراق» في الجرـس والوزن مع لفظ «الاستعمار» في ذهن المسلمين».

(2) والمستشار الفرنسي المعاصر كذلك جان بول شاريه يقول: «بالنسبة لي فأننا لا أعتبر نفسي مستشرقًا، بل عالم سياسة وعالم اجتماع وعالم قانون وإستراتيجي، ومصدر اختلافى عن المستشرق التقليدي هو أننى في أبحاثى عن المجتمعات العربية والإسلامية لم أُعتمد على المنهج الفيولوجي واللاهوتي. ومن هنا أعتقد أنً

(1) انظر: أحمد الشهين. من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق ... 157-171.

لا تكون الأسئلة قديمًا قد حدث عدي في مجال الاستشراقة، عند غيري».

14 - ويرفض المستشرق الإسباني بيدرو مارتينيث (1933م) مصطلح مستشرق، بما يقرب من الغضب. (2) وربما رضي بأن يدعى بالمستعرب بدلاً من المستشرق، على اعتبار أن الاستشراقة الإسباني يدرس نفسه، فلا يقبل بمصطلح الاستشراقة. (3)

15 - والمستشار الفرنسي المعاصر أوليفيه كاريه (1935م) يرى أن الاستشراقة مرَّ بمرحلتين: المرحلة التقليدية الكلاسيكية، وفيه من الإيجابيات في خدمة التراث الإسلامي. وهنا دراسات الاستشراقة حول المجتمعات الشرقية في الوقت الحاضر، وبصفة خاصة المجتمعات العربية والإسلامية. وهنا ينبغي أن نلقي


كلمة الاستشراق من هذه الدراسات؛ لأنها تدرس مجتمعات محددة، وفقًا لمناهج محددة لعلم الاجتماع، وتاريخ الحركات الاجتماعية والسياسية. (1)

ويذكر أوليفيه كاريه هذه الرغبة في إلغاء الاستشراق في مقابلة مع دورية الاستشراق. (2)

والمستشرق الرومانية المعاصرة ناديا أنجيليسكو (1941) تنتهز من المصطلح، وتقول: «خلال زيارتي إلى البلدان العربية قدمتني الصحف أكثر من مرة بالمستشرق الرومانية ناديا أنجيليسكو، واحتجت أكثر من مرة على هذه التسمية. طبعًا كان من أهم الأسباب لاحتجاجي أن شخصية المستشرق أصبحت مشروعة إلى حدّ ما في الوطن العربي». (3)

وتنفي ناديا أنجيليسكو أن تكون مستشرفة؛ لأنها ترى أنها شرقيّة بالنسبة إلى أوروبيّة الغربية، تقول: «إنني لا

(1) انظر: أحمد الشيخ، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب: حوار الاستشراق. - مرجع سابق. - ص 113 - 124.


استطيع أن أبحث عن الشرق لأنني مقيم فيه» (1). وهذا
الشعور يثير موضوع مكان الاستشراق البلقاني في
خريطة الاستشراق، الأمر الذي يقوم هذا الباحث
بمحاولة تجليته، في ضوء هذا الاضطراب في تحديد
مفهوم الاستشراق. (2)

17 ـ وهو ما فعلته أيضًا المستشرقة (الإسبانية) المعروفة من
آخر هذه الأجالي الأستاذة كارمن (رويث برافو) من أن
تكون (مستشرقة). ومنذ اللحظة الأولى ظلّت تردد
لمرات أنها باحثة وأستاذة جامعية متخصصة في الآداب
العربية». (3)

18 ـ والمستشرق الصربي المعاصر رادي بيجوفيتش،
المتخرج من قسم الاستشراق بلغراد في الستينات
الميلادية ثم جامعة بغداد عن السيّاب ثم جامعة بلغراد,
يرفض تسميته بالمستشرق، ويفضّل إطلاق المستعرب;

(1) انظر: ناديا أنجيليسكو. الاستشراق وال الحوار الثقافي. مرجع السابق.
ص 18.

(2) انظر: علي بن إبراهيم النملة. الاستشراق البلقاني والتجسير الثقافي: رؤية
في المفهوم. مرجع سابق. ص 39.

(3) انظر: مصطفى عبدالغني. ترجمة جاك بيرك للقرآن: من القراءة إلى
التفسير. الاجتهاد. ع 49. مرجع سابق. ص 115-137. (هامش ص 117).

137
لأن العربية هي المجال الوحيد الذي اخترنه بحثاً وhoaيةً ونناجَاً وفخرًا. وهو سعيد بذلك.(1)
ولعل المستشرقّة ناديا أنجيليسكو قد أجابت على التساؤلات التي طُرحَت في مطلع هذه الوقفة، إذ إن القدرة على التمييز والتمييز أي الالتفاف، التي أتِسِب بها الفكر العربي والإسلامي، قد وُقفت إلى تعرية الاستقرار وبيان ما حمل من ضرر على الفكر والثقافة في إجماله. ومن ثم كانت هناك طروحات قوية، وقفت في وجه الاستقرار والمستشرقين، كان من ضمنها المناظرات والمحاورات؛ مما أدى في ضوء ذلك إلى تقليص النفوذ الاستشرافي. (2)

الالتفاف والتغييرات
والاستقرار أقرب إلى تقليص النفوذ، بدلاً من القول إنه قد انتهى تمامًا مصطلحاً ومفهومًا، فلا يظهر أنه انتهى لا هذا ولا ذاك، ولا يظهر أنه سيتنهى، على اعتبار أن الإسلام المدروس نفسه أولاً ما يزال جذب للباحثين عن أثر هذا الدين، وما

(2) انظر: ناديا أنجيليسكو. الاستقرار والحوارات الثقافية. - مرجع سابق - ص ٧٢.
يتعرّض له من تلاطم الآراء والأفكار بين الإيجابي والسلبي. وأنّ منطقة المسلمين ثانيًا تشهد على الدوام فيما يبدو تغيّرات تثير العالم المعاصر.

ولا تقتصر هذه التغيّرات المتوالية على المنطقة نفسها. مما حدا بمراكز البحوث الغربية أن تنشط في دراسة هذه التغيّرات، واتخاذ المناسب حيالها، بحسب ما تميّزه المصاحب، بما في ذلك التركيز على هاجس الخوف من الإسلام الصاعد، مما أعاد على تحويل الاستشراق إلى التركيز على الاستشراق السياسي والاجتماعي، (1) على حساب الاستشراق التقليدي الشمولي، ومنه الاستشراق العلمي المعني بملاحظة العلوم والفنون والآداب ونشرها.

يقول الفضل شلق: "يظن بعضهم أن الاستشراق انتهى. ربما كان ذلك صحيحًا إذا كان المصوّد الاستشراق المؤسّس على الدراسات اللغوية. وقد كان طبيعيًا أن تكون اللغة هي المدخل. لكن دراسة حضارات الشرق وثقافته تطورت وتشّبت وتناولت شتى نواحي الحياة فيه... ولم تُفّتح محاولات الهروب من تاريخية الاستشراق نحو الإنسانيولوجيا، إذ لا شيء يغنى عن التاريخ والمعرفة التاريخية". (2)

---

(1) انظر: علي بن إبراهيم النملة، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، بيروت: مكتبة بيسان، 1366 هـ/2015 م، ص 135.
(2) انظر: الفضل شلق، الاستشراق والتراث، إجتهاد، مرجع سابق، ص 23-24.
الفصل السادس

سمات الالتفاف على المصطلح

من سمات الالتفاف على المصطلح (الاستشراق) توجَّه معظم المستشرقين إلى العلوم الأخرى بجانبها الاجتماعي، لا سيما الأنثروبولوجي، مما ولد مصطلحًا جديداً قد يصدق عليه اسم الاستشراق الجديد أو بسمية أدق الاستشراق المتجدد (neo-Orientalism) الذي لا ينتمي بسمات العلم، مما دفع المقارنات الأخرى إلى الواجهة، ودفع المستشرقين الجدد أنفسهم إلى الاستنكار أو الاستطلاع التاريخية مدعأة، أو بأنثروبولوجية مختزلة، وهذان أمران يكون علينا أن ننتبه لهما، ويجنبها الإعلامي أيضًا والرغبة في الظهور الإعلامي، من خلال الإعلام المرئي، في ضوء انتشار الفضائيات فيما اصطلح عليه بالقرية الكونية، تعليقًا في الفضائيات والمداخلات على

(1) انظر: رضوان السيد. نقد الاستشراق، الاجتهاد، مرجع سابق، ص 5 - 7.
الأحداث المتتالية التي تعصف بالمنطقة، من وجهة نظر تظل استشراقية، وهو ما يمكن أن يسمى أيضًا بالاستشراق الإعلامي أو الصحفي، وربما الإعلام الاستشراقي.

هنا يقول المستشرق الجغرافي الفرنسي إيف لاكوست (1929): «ينبغي أن نميز بين المجال العلمي في الجامعات ومراكز الأبحاث، وبين ما تطبعه أجهزة الإعلام عن العرب والإسلام، حيث الرؤية عادة ما يكون مبالغًا بها وسلبية بالطبع».

من هذا الطربح الإعلامي ما ظهرت به الكاتبة الإيطالية أوريانا فلاتشي (1929-2006) في كتابها «الغضب والاعتزاز»، والكاتبة ليست مستشارة، بالغرض الدقيق للاستشراق، ولكنها رواية وصحافية مثيرة للجدل، كانت مقيمة في نيويورك. ومع هذا صدر كتابها بالإيطالية، وترجم إلى الفرنسية. وكانت تنشر مقالاتها هذه التي جمعتها في هذا الكتاب: الغضب والاعتزاز، في صحيفة بانوراما الإيطالية.

ألفة: عبد الله بن عبد الرحمن المهبي، حول الاستشراق الجديد: مقدمة، مرجع سابق، ص 63-68.

(2) انظر: ظاهرة الاستشراق الشخصي، ص 41-46، في: حسن غزو، العربي والسياسة الحديثة، من الإسلام، مكتبة ألوان مغربية، 2002، ص 69، (سلسلة احتت الإيطالية) 10.

(3) انظر: أحمد الشقيق، من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغلال: حوار الاستشراق، مرجع سابق، ص 139-145.

142

ركزت فالانتشي في الكتاب على الجالية العربية المسلمة في الغرب، ووصفتهم بأنهم قوم يلوثون القارة، فهم نفايات مغتصبون، وعَّرّ حاملون لمرض الأيديز، أيّنا حلّوا ورحلوا. وهم يقومون بالتكتُر بيننا كالجُذان. وتتضح صاحباتها الأوروبيّات برفض المهاجرين بالأقدام على قفاصهم، كما قامت به هي. وتجوز الإسلام إهانة مباشرة، وترى أنه هو سبب هذا الوضع للجالية، فيما أسهمت تحديدًا بالإرهاب الإسلامي. (1)

تذكّر صحيفة الشرق الأوسط في العدد نفسه أنه يبلغ من هذا الكتاب في إيطاليا وحدها مئة ألف (100,000) نسخة في أقل من شهرين، ومثل هذا بالفرنسية. وكانت الكاتبة تعمل على ترجمته إلى اللغة الإنجليزية.

أظهرت هذه الاتهامات قدرًا واضحًا من الجدية على العرب والمسلمين، جعلت غيرهم ينظر إليهم نظرة أخرى، فيها خير للناظر والمنظور، إذ تأثر بعض من قرأ فالانتشي قراءة موضوعية واستخف بها وبفكرها هذا الذي يعيد نبش التاريخ الذي لا يُرضي الغرب بأيّ حال، فتسعى حضارة اليوم إلى تجاوزه.

الاستشراق والأنشطة

لقد ظهر من ينعت الاستشراق الأصيل بالاستشراق التقليدي، (1) أو ربما يعبّر عنه عند آخرين بالاستشراق الكلاسيكي، وكلا الإطلاقين مترادفين، أحدهما عربي والأخر أجنبي معرّب. (2) ويرى أنه «لا يزال الكثير من المستشرقين


سجناء الاستشراق. إنهم منغلقون على أنفسهم داخل غيتو، وهم سعداء في ذلك غالبًا! بل إنَّ مفهوم الاستشراق نفسه ناتج عن ضرورات عملية عبيرة، التي عندما العلماء الأوروبيون المتمرّدون بدراسة الثقافات الأخرى. وقد تدّعم هذا المفهوم بواسطة هيئة مجتمعهم على المجتمعات الأخرى، وشّوهدت هذه الحالة بقوةً رؤيتهم للأشياء»(1).

كذا التوّج إلى تحوير المصطلح إلى أيّ مصطلح آخر، قد يكون مقبولاً في هذا الزمان، بديلًا عن مصطلح الاستشراق،(2) ولكنه قد يتحول إلى أن تكون شخصياته مشؤومة في الوطن العربي والعالم الإسلامي، فيما يأتي من الزمان، بما في ذلك الحديث عن الاستشراق الجديد بتعبير «ما بعد الاستشراق»؛(3) أو ما سمّاه محمد موفق الأرناؤوط بمراجعة الاستشراق.(4)

(2) انظر: تركي بن خالد الطفيري، الاستشراق عند إدوارد سعيد: رؤية إسلامية. جدّة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 1433/2012 م. ص 8.
ما يمكن تسميته بمёт الاستشراق، قياسًا بتعبير «ما بعد الحداثة». وما بعد الاحتلال «الاستعمار»، وقياسًا على عدد من التعبيرات التي اتخذت من كلمة الموت تعبر عن الأعلون. وكل هذا الطرح يصدق على ربط الاستشراق بالاحتلال، حيث لا تزال الجروح لم تنام (3) ومن ثم الارتباط بالسياسة التي لم تتعاق بحالٍ من الpain (4).


(2) انظر: إدوارد سعيد. الثقافة والإمبريالية. - مرجع سابق. - ص 9.


146
هاجس الاحتلال، إذ لا يزال بعض المستشرقين يوفرون معلومات أُتي تطلبت الحاجة إليها، ويتوسطون في الاتصال عند الضرورة، وقد تُعيد لهم في بعض الحالات المهام الخاصّة، وأكثر مما كان في السابق. (1)

وبدلاً من وارنبرغ أنّ «الأصالة في مواقف معظم المستشرقين أقل بكثير مما يُعتقد عموماً، إذ كانوا مجرّد متحدثين بلسان مجتمعاتهم» في تقويمهم للبُعد بين الإسلام والغرب. (2)

وفي الوقت نفسه يعتمد بعض المُحلّلين تجاهل ارتباطات الاستشراق الأخرى، كالارتباط بالديانات والعقائد والتراث والتجارة، بل والاستشراق ما قبل الإسلام في مصر القبطية والدراسات العبرية والفارسية والهندية السنسكريتية والتركية والصينية. (3) يقول روبرت إرون: "东方主义 was not cut from one cloth. In different European countries it developed at different times, with varying intensities and varying emphases". (4)

---

(2) انظر: جان دي جاك ووارنبرغ. المستشرقون. - المرجع السابق. - ص. 16.
(3) Robert Irwin. The Real Discourse of Orientalism. = p 18

147
الاستشراق والإمبريالية

ولذلك ظهرت في الساحة العلمية ردود الأفعال حول ربط الاستشراق بالاحتلال والإمبريالية التي سوقها وروج لها إدوارد سعيد. وكانت ردود الأفعال هذه بين الإيجابية التي وافقت هويّ في النفس، والسلبية التي عتبت على اختزال الاستشراق في هذه الزاوية التي لا شكّ باحثًا بأنها كانت مؤثّرة تأثيرًا واضحًا، لكنيها لم تكن هي المؤثر الأقوى، ناهيك عن أن تكون هي المؤثر الأول.

والاستشراق لا يموت ولا ينفّل، وإنّما هو استشراق متجدد، يعالج الحاضر في توجيهه العام أكثر من اهتمامه بالتراث على الطريقة الاستشراقية القديمة «الكلاسيكية»، وإنّ بقي الاستشراق التقليدي في عدد من المراكز الاستشراقية الرصينة. ومن ثمّ فهو في ترکزه على الحاضر يحقق جانبيًا واسعًا من جوانبه العصرية، يخدم فيها التوجهات الغربية نحو إعادة صياغة العالم الإسلامي تحديداً، بما يخدم المصالح الغربية عموماً، والأمريكية خصوصاً. (2) وهذه من مهمات الاستشراق المتجدّد.


(1) انظر: عبدالله بن محمد بن عبد الله المديمي، مؤسّسة البحث والتطوير (رائد) وموقفها من الدعوة الإسلامية: دراسة وصفية تحليلية نقدية في الاستشراق الأمريكي الجديد، ٢٠١٥، جدّة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠١٥، ص. ٧٦٦.

(2) انظر: عبد الله بن محمد بن عبد الله المديمي، مؤسّسة البحث والتطوير (رائد) وموقفها من الدعوة الإسلامية: دراسة وصفية تحليلية نقدية في الاستشراق الأمريكي الجديد، ٢٠١٥، جدّة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠١٥، ص. ٧٦٦.
انها نهضة الاستشراق (2) أو كما يسميها ريموند شواب: (neo-Orientalism)
التي تنبث من المصطلح لا يُعفي من استمرار التمسُك بالموضوع، وهو أو منه النظر إلى ثقافتَين ما بعيون ثقافٍ أخرى، وعدم القدرة على تلبية الثقافة المضمنة إليها، في ظل التمسُك بالثقافة الناظرة، بما تحمله هذه الثقافة الناظرة تجاه الثقافة المضمنة إليها من منطلقات دينية وتاريخية وسياسية واقتصادية، ثم أخيرًا اجتماعية وأنثروبولوجية. (3) وربما عرقت بنظرة فوِقية من الدارس إلى دولة المدرس.

على أنه من المهم ألا يفهم هذا الطرح على أنه توجه أو رغبة في أن يوصى الباحث أمام الآخر ليعتادي الثقافة الإسلامية والعربية، فهذه رغبة لا تحصل ولم تحصل فيما مضى، ولن تحصل فيما يأتي، إذ إن هذه الثقافة مثار جدل ونقاش طويل عريض، طويل من حيث المدى التاريخيّ -أولاً.- مرجع سابق: ص 99-123.

(1) انظر: عبدالله بن عبدالرحمن الوهيبي. حول الاستشراق الجديد: مقدّمات


(2) انظر: رضوان السيد. الصراع على الإسلام من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا.- التصحيح.- مرجع سابق.- ص 71 - 81.
وبالمستقبل، (1) وعرض من حيث الاهتمامات وتفرع هذه الثقافة مع ترابطها.

الاستشراق والماركسية

أمام ما يُتناول من أن الاستشراق قد انتهى فإنما هي رمزاً للتهيئة للبديل، وربما اقتصر الأمر على تغيير الاتصالات، دون التنكر للمضمون. وربما كانت الماركسية التي كانت في مرحلة مثبّت تعاطي مع الأبعاد الاجتماعية للثقافة، هي التي يُراد لها أن تسيطر على الساحة الثقافية، فيما له علاقة بدراسة الآخر.

ولذا نجد أن عالم الاجتماع البريطاني الاسترالي المستشرق برايان تيرنر (1945 م) يصدر كتابًا ذا عنوان مُلفت هو: «ماركس ونهاية الاستشراق» (2) حيث يوجه برايان تيرنر نقدًا جذريًا للاستشراق، قائمًا على تقصير الاستشراق في التركيز على الأبعاد الاجتماعية.

---


شمل النقد محاولات إيجاد وجوه شبه بين الإسلام والماركسية الاشتراكية، وأن الإسلام على رأي غلتر وبرنارد لويس «الله صلة اختيارية بالماركسية، بسبب الدافع الداخلي نحو تنفيذ النظام الإلهي المحدد بدقة على الأرض من ناحية، ومن ناحية أخرى، بسبب شمولية كل من الأيديولوجيتين التي تحوال دون السياسة المؤسسة».

هذا النقد «قد يكون أعمق الانتفاقيات التي يوجّهها أوروبي للمنظورات الاستشراكية».

وقد كتب نيكي كيدي: "الحسن الحظ يبدو أن البحث الغربي قد خرج من الفترة التي كتب فيها كثيرون أن الإسلام والماركسية مشابهان جدًا، من وجهة نظر منهجية يقود الواحد منهما إلى الآخر".

وقبل هذا يؤكّد طلال أسد خلف ذلك بقوله: "ارتبعت الأيديولوجيا الماركسية ببعض المفكّرين المتغريين وبعض الدول السلطوية، ولم ترتبط فقط بالعلماء أو البرجوازية المدنية الراقية.


انظر: طلال أسد. فكرة أثثريولوجيا الإسلام. ـ الإجهاد. ـ منهجية. سابق. ـ ص 162 - 163.

151
الذين كان من المفترض حسب رأي غلتر أن تكون الحوامل التاريخية للإسلام النصي التوحيد التقليدي. (1)

وربط الإسلام بالإشتراكية ليس وليد الاستشراق الماركي فحسب بل إنها الموجة قد طغت في خمسينيات وستينيات القرن العشرين على بعض العرب الذين سعوا إلى ملاحقة الحركة الاشتراكية الماركسية في بعض الأوساط العربية، فسعوا إلى ربط الإسلام ورمزه بالإشتراكية، حتى لم يسلم رسول الله ﷺ وصحابته من محاولات الربط هذه.

وبعد ذلك يجري ربط الإسلام بالديموقراطية، (2) كما جرى ربطه بالعلمانية والليبرالية والعولمة، بحسب موجات هذه الأفكار، وذلك لتقربها من الإسلام؛ سعيًا إلى قبولها، أو لتقرب الإسلام منها؛ قصدًا إلى قبوله. وفي كل الأحوال يظل الإسلام نظامًا ومنهج حياة منفردًا، لا يقبل مثل هذه المحاولات.

(1) انظر: طلال أسد. فكرة أثروبولوجيا الإسلام. – الاجتهاد. – المرجع السابق. ص 160.

نهاية الاستشراق

في بحث مستفيض للباحث في الاستشراق مازن بن صالح مطلباني بعنوان: "هل انتهى الاستشراق حقًا؟", يبني الباحث فيه القول بنهائية الاستشراق بهذه السهولة، ويؤكد أن الذين يقولون بنهائية الاستشراق ليسوا من المتعمقين في دراسته. ويخلص من خلال مناقشة هذه الفكرة في ثلاثة محاور إلى القول: "يعتبر الإنسان لماذا يصر البعض من الباحثين العرب والمسلمين أن يعلنوا وفاة الاستشراق، أو انقراض الاستشراق، مع أن الأمر يحتاج إلى دراسة وتمحيص، قبل إصدار مثل هذه الأحكام.

ولما أتيح للباحث فرصة الإطلاع على بعض النشاطات الاستشراقية، فقد تأكد لي أن الذي انفرض هو ذلك الشخص الذي يعرف اللغة العربية، ويخوض في شتى مجالات المعرفة، التي تخص العالم العربي والإسلامي، من التاريخ إلى الجغرافيا إلى الأدب إلى الاجتماع إلى العقيدة. نعم، هذا المتخصص لم يعد له وجود كبير، رغم محافظة بعض كبار السن من المستشرقين على هذه المكانة، وربما لعشرين سنة من الآن." (1)

(1) انظر: هل انتهى الاستشراق حقًا؟ - ص 49. - في: مازن بن صالح مطلباني. الاستشراق المعاصر في منظور الإسلام. - مرجع سابق. - ص 216.
يعتبر مازن المطلقاني بهذا من ذهب إلى هذا الرأي من أمثال
عبد النبي أصطفيف الذي يدعو إلى استشراق جديد، إذ يقول: "في
الأزمة الأولى كان جميع المستشرين - تقريبًا - فقهاء لغة
محترفين باللغات الشرقية، مع اهتمامات شرقية أو دونها، وكان
ذلك مسارًا شاقًا من مسارات الدراسة بترائه، ومنطلقات البحث
الخاصة به... ولكن العقود الأخيرة قد شهدت باحثين من حقول
معرفية أخرى، اشغلا - وعلى نحو متزايد - في المجتمعات
والثقافات الإسلامية. وقد ضم هؤلاء مؤرخين اجتماعيين
 وأنثروبولوجيين وباحثين آخرين في العلوم الاجتماعية، وكذلك
متخصصين في حقول الآداب والفنون والدين". (1)

يؤتى عبد النبي أصطفيف بهذا ما ذهب إليه وارنبرغ في
موسوعة الإسلام الذي "يحدد تضمنات مصطلح مستشرق، من
كيف تخصصه، فيشير إلى أن كلمة المستشرين، عندما
تستعمل للماضي، تدل على "باحثي اللغات والآداب والتراث
الشرقية"، وأنها عندما تستعمل للحاضر "تشمل كذلك ممثلين
من حقول معرفية أخرى، تساهم في معرفتنا بالمجتمعات
والثقافات الإسلامية". (2)

وفيغى محمود حمد زقورف نهاية الاستشراق يقوله: "أما

(1) انظر: عبد النبي أصطفيف. نحو استشراق جديد. الاجتهاد. 50
(2) انظر: عبد النبي أصطفيف. نحو استشراق جديد. الاجتهاد. 50
و51. المراجع السابق. ص 42.
الحدث عن قُرب نهاية الاستشراق فليست أظهر أن مثل هذه النهاية وشيكة الحدوث، فالمسألة ليست بهذه البساطة، ولا يمكن القول بأن الحركة الاستشراقية بدأت تنحصر، وأنها تعيش آيَامها. فالحركة لا تزال متواصلة وقوية ومنظمة، ولا تزال جمعيات المستشرقين ومؤتمراتهم المختلفة تمارس نشاطها، ومعاهد الاستشراق متنوعة اليوم في أغلب الجامعات الأوروبية والأمريكية.

هذا فضلاً عن تغطيل المصالح الغربية في بلدان العالم الإسلامي، وخصوصاً في بلاد الشرق الأوسط، الأمر الذي يجعل هذه المصالح تُساند الحركة الاستشراقية التي تقدّم بدورها للجهات المعنية في الغرب مختلف الدراسات عن بلدان العالم الإسلامي.

بالإضافة إلى ذلك كله فإن مجالات التخصص قد تعدّت، وهذا يعني إثراء الدراسات الاستشراقية لا القضاء عليها.  

ويؤكد الباحث في الاستشراق الإسباني محمد عبد الواحد العسري على أن متابعة دراسة المستشرقين وأبحاثهم لم تنفب، بل على العكس من ذلك، فالحاجة إليها ما زالت قائمة بقدر تنامي التمثيلات الغربية للشرق العربي الإسلامي وتمثيلاته له في الإصدارات الاستشراقية التي ما زالت تتراوح إلى حد اليوم.  

١. انظر: محمود حمدي زقوق، الاستشراق والخلفية الثقافية للصراع الحضاري، ط ٢. بروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٥٥/١٩٨٥م، ص ٤٥، ٥٣، ٥٤، (عن سلسلة كتاب المأجّنة إ).  

٢. انظر: محمد عبد الواحد العسري، الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني من ريموندوس لولوس إلى أسس بلاتيوس، ط ٢. بروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠١٥م، ص ١٠.  

١٥٥
يأتي هذا النص في سياق تعليق المؤلف على عبارة وردت في الطبعة الأولى من هذا الكتاب "الانتفاف على الاستشراق".

أمام الباحث في الشأن الاستشراقي محمّد خليفة حسن فقد أصدر كتابًا عنوانه "أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر"، عالج فيه مسألة نهاية الاستشراق، من خلال النقاش المستفيض. وأكّد على لجوء المستشرقين إلى تسميات أخرى لتخريج عن المضمون، مثل أن يُقال عن المستشرق إنّه "متخصص في الدراسات الإسلامية أو الهندية أو الافريقية أو اليابانية أو العربية أو المصرية أو الآشورية". (1)

ضيف الباحث محمد خليفة حسن أن التنصّل من مصطلح "الاستشراق" والتسمية "مستشرق" إنما هي "عند بعض المستشرقين المعاصرين، محاولة للتتركيز على تخصُص معين، داخل الاستشراق، وتاليًا الرغبة في أن يسمّوا باسم التخصُص الدقيق الذي يعملون فيه، بدلاً من التخصص العام، وهو الاستشراق. وهو اتجاه يمثل نزعة إلى التخصصية، على الأخص مع اتساع مجالات الاستشراق وتغطيته لكل شعوب الشرق، على مستويات الدين والحضارة والسياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب والفنّ. إلخ". (2)

(1) انظر: محمّد خليفة حسن. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. ـ مرجع سابق. ص 27.

(2) انظر: محمّد خليفة حسن. أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. ـ المرجع السابق. ص 27.

156
يتنهى محمود خليفة حسن إلى الرأي بأنّ «هجر تسمية مستشرق» هنا - لا يعني عدم صلاحيتها؛ لأنه على الرغم من النزعة التشخيصية فلا يزال الاستشراق هو التخصص العام، في مجال دراسة الشرق وشعوبه. ولذلك فالهيرويب من التسمية «مستشرق» هروب لا مبرر له، ولا يغيّر من الوضع شيئاً. (1)

ومن ذلك أنّ كتاب دراسات لا يدنس قراءة الإسلام بعنوان ما بعد الاستشراق والمجتمع قد أسهم في عدّته الثاني (2014م) عشرون مؤلفًا، جرى تعيينهم جميعًا بأنهم مؤرّخون وأنثروبولوجيون وعلماء اجتماع وعلماء سياسة. وثمانية عشر منهم ينطبق عليهم مفهوم الاستشراق، والباقيان يحملان أسمين إسلاميين. (2)

على أنّ الأسماء ليست ذات دلالة قاطعة على الانتماء الثقافي، فهناك مسلمون في المجتمعات الغربية أبقوا على أسمائهم غير الإسلامية، كما أنّ هناك مستشرقين تسمّوا بأسماء عربية ولم يظهر من سرد سيرتهم أنهم أسلموا، من مثل

المستشرقة الروسية كثروم عودة - فاسيليفا (1892-1965)، مما يجعل هذا الاستنتاج بالأسماء إقرب إلى السطحية.

الذي يظهر أن التعرّض للنهائيات لم يقتصر على الاستشراق فحسب، بل ظهرت إسهامات لا تأس بها، من حيث العدد حول النهائيات، وكان ذلك مع اقتراب نهاية الألفية الميلادية الثانية ثم حلولها، هي أعمال فكرية تدور حول هذا المفهوم، فمن نهاية التاريخ، (3) أو أحتفال التاريخ، إلى نهاية العالم كما وردت في الكتب السماوية، (3) أو نبوءات نهاية العالم، إلى نهاية الإنسان، إلى نهاية الديموقراطية، إلى نهاية الغرب، أو موت الغرب، إلى نهاية الداعية، إلى نهاية التفكير، إلى نهاية الشر، إلى الدرجة صفر للتاريخ أو نهاية العولمة، التي لم تثر يعد بعد! (4)

انظر: سماء زكي المحاسبي. التعريف بمجموعة من المستشرقين، وبيهوهم في الدراسات الأدبية واللغوية وفي إعداد ترجمة المخطوطات العربية. - مرجع سابق. - ص 206-207.


انظر: جان دي جاك واردنبورغ. المستشرقون. - مرجع سابق. - ص 32.


158
لقد قيل من منطلق ديني: إنه خلال عام 1999 م وفي متصفه ستعتبر أحداث كونية كبرى، سيتهي البشرية كلها، من خلال انفجارات نووية، أو سقوط نيزك؛ مما سيؤدي إلى القضاء على ثلاثة أرباع الحياة البشرية. وتجسّد هذا الحاكم حول نهاية العالم الفعلية، بصورة متطرفة جدًا، من خلال ما وقع في يوغاينة يوم 12/12/2002 الهـ الموافق 17 مارس سنة 2002م، حيث قامت طائفة من طوائف المسيحيين بتفجير الكنيسة وإحرقها، في انتحار جماعي، وصل عدد ضحاياها إلى 230 قتيلاً، بما فيهم 78 طفلاً. وكان من بين المتحرين زعيم الطائفة الكنيسة كيبويم واثنان من معاونيه. (1) وقد صدرت في هذه النهايات الكتب والمقالات، مما لا يستدعى التوسّع في ذكرها.

في معتقدنا نحن المسلمين أن العالم سينتهي، وأن هناك علامات صغرى وعلامات كبيرة لهذه النهاية. (2) إلا أن هذا المفهوم لا يخضع للتوقيت الدقيق له، بغض النظر عن بعض التقلبات التي تحصل للكون، بين حين وآخر، كالكوارث الطبيعية، (طوفان تسونامي، وإعصار كاترينا، وزلزال...


(2) انظر: منصور عبد الحليم. نهاية العالم وأشراط الساعة، دمشق: دار الكتاب العربي، 2004م، ص 262-266.

159
الباكستان، أو الانتقال من قرن إلى آخر؛ (1) إذ إنَّ قيام الساعة أو نهاية العالم الفعليَّة هي مما استأثر الله تعالى بعده، مع وجود بعض الأشارات [العلامات] التي تقرِّب من نهاية هذه الحياة الدنيا. (2) ولعل هذا الحديث عن النهايات قد مدَّ طفانه على الاستشراق، فانبري من يرى نهايته. وهو لن يتهي.

الفصل السابع

الاتصالات بالاستشراق

يسعى الاتفاق على مصطلح الاستشراق إلى التنصل من الاتصالات التي قام عليها الاستشراق، فقائم ظاهرة الاستشراق، واستمرار ظاهرة التنصير (التبشير) مثلاً، يعني أن هناك رابطاً قويًا بين الاستشراق والتنصير، من حيث التقاء الأهداف، وإن اختفت الميول. (1) وإذا كانت هذه العلاقة القوية تخفت مع الزمن فإن ذلك عائد إلى وضوح فكرة الاستشراق لدى المسلمين والحد من قبولها، بعدما تبين ارتباطها بتنصير من جهة، والتأثيرات الأخرى الموجهة إلى المسلمين من جهة أخرى، تلك التأثيرات مثل الاحتلال المنطقي، والهيمنة السياسية المستمرة والتغريب المستمر. (2)

(2) انظر: عدنان عوض، التبشير بين الأصولية المسيحية وسيلة التغريب، دمشق: دار التكوين، 2008م، ص 179.
يقول بوهان فوك حول هذا الارتباط: «ولقد كانت فكرة التبشير هي الدافع الحقيقي خلف انشغال الكتيبة بترجمة القرآن واللغة العربية. فكلما تلاشى الأمل في تحقيق نصر نهائي بقوّة السلاح، بدا واضحًا أنّ احتلال البقاع المقدسة لم يؤدّ إلى ثني المسلمين عن دينهم، بقدر ما أدى إلى عكس ذلك، وهو تأثير المقاتلين الصليبين بحضارة المسلمين وتقليدهم ومعيشتهم في حلبات الفكر».(1)

ويوافقه المستشرق الهولندي جان دي جاك واردنبرغ في أنّ إعداد المعاجم العربية اللاتينية وترجمة بعض المعاجم إنما قامت في بداياتها لأغراض العمل التنصيري، في المناطق التي آلت إلى الحكم المسيحي في أعقاب حروب إخراج المسلمين من الأندلس.(2)

يمكن القول إنّ معظم المختصّين الموجّهين إلى المسلمين يُعذّرون مستشرقين، وليس بالضرورة العكس، فليس كل المستشرقين المعينين بعلوم المسلمين منصّرين. وحيث كتب نجيب العقفي موسوعته العلمية حول المستشرقين أدرج معهم المنصّرين أمثال السموأل (صموئيل) زويمر ولو شاتليه، بل إنّ طلائع المستشرقين - بحسب تصنيف نجيب العقفي - قد انتقلوا من الكتائس والأديرة. (3)

(1) انظر: بوهان فوك. تاريخ حركة الاستشراق. مرجع سابق. ص 16 - 17 .
(2) انظر: جان دي جاك واردنبرغ. المستشرقون. مرجع سابق. ص 18 - 19.
(3) انظر: نجيب العقفي. المستشرقون. مرجع سابق. ص 110 - 125.
من المستشرقين الأوائل والمتأخرِين من هم ذوو مناصب أو
مراتب دينية كالآب لويس شيخو والأب لوي ماسينيون. وهكذا
تَتَضَح العلاقة بين التنصير والاستشراق، على أنها محدّد من
محدّات الارتباط بين الاستشراق والنظائر الأخرى، التي لم
تكن إيجابية في علاقتها مع المجتمع المسلم. (1)

لا تتضح العلاقة بمجَّزء إيراد هذه النماذج من الأسماء،
ولكنّها تتضح أكثر من ذلك بمتابعة الموسوعة المذكورة لنجيب
العقيقي حول المستشرقين التي عدّ صاحبها نفسه من
المستشرقين الموارنة، الذين عقّد لهم فصلاً خاصاً، بالرغم من
عبئهم ونشأتهم في الوسط العربي والثقافة الإسلامية، لا سيّما
في الشام ومصر والعراق – كما مرّ ذكره. (2)

لقد استفاد المتضرِّرون من المستشرقين كثيرًا، واستفاد
المستشرقون من المتضرِّرين قليلاً، ذلك أنّ فائدة المستشرقين
جاءت من خلال الجهود العلميّة التي قاموا بها، لا سيّما
الدراسات التي أعدّوها بالتكليف أحيانًا من جهات تنصيرية حول
الإسلام وتراث المسلمين وواقعهم المعاصر. وينبغي وضع
كلمة العلميّة وصفًا للجهود المبذولة محبّرةً; قصدًا إلى التنبيه

(1) انظر: علي بن إبراهيم الحمد النملة. المستشرقون والتنصير: دراسة
للعلاقة بين ظاهرتين. مرجع سابق. ص 178.

(2) انظر: نجيب العقيقي. المستشرقون. مرجع سابق. ص 173-178. 338.

وتقع مراجعة المؤلف بين الصفحات 321-328.
إلى أنّ جهود المستشرقين ليست كلها علميةً، بالمفهوم الذي يراد من هذا المصطلح.

استفاد المستشرقون من المنصرين الميدانيين من خلال انتباعهم التي سجّلواها عن المجتمع المسلم الذي عاشوه، فخرجوا منه بهذه الصور التي لا تعبر عن الإسلام، بقدر ما هي تلك الخُرائط المحلية عن الإسلام في بعض المجتمعات المسلمة، فعُدّوها من الإسلام، وجعلوا الناس حِجبًا على الذين أخذوا بالنظرية الاجتماعية الغربية التي تقول: إنَّ الذين يؤخذون بقدر ما يأخذ الناس منهم، الأمر الذي أدّى إلى تصنيف الدين إلى جملة من الأديان، فاضخِي الإسلام إسلامات، وليس إسلامًا واحدًا، إذ إنَّ الإسلام عندهم أضحى يُعتَب بأنه الإسلام الشعبي أو الإسلام التقليدي، والإسلام السياسي، والإسلام اليساري، والإسلام اليميني، والإسلام الوسط، والإسلام المتطرف، والإسلام العلماني، بدلاً من نعت بعض المسلمين بأنهم كذلك، إنّ كانوا كذلك. (1)

وأخذ بعض المفكّرين العرب بهذه التقسيمات وأشاعوها بين الناس، ودّعواهم إلى تصنيف إسلام الأشخاص، بحسب ما يظهر عليهم من قرب أو بعد عن هذا الإسلام أو ذلك. والتركيز في هذه الأيام على ما يُسمى بالإسلام السياسي. والمراد منه إلصاق

(1) انظر: علي بن إبراهيم النبلة. مصادر المستشرقين ومصيريّتهم. بيروت: مكتبة بيسان، 1943 هـ/ 2002 م. 262 ص.
هذه المصدات التي تكون واجهتها وأسماؤها ذات ارتباط بالدين بالإسلام نفسه، ومن ثم تحميل الإسلام نفسه هذه التجاوزات غير الإنسانية. وهو مصطلح حادث - كما مر ذكره - روّج له بعض المستشرقين والإعلاميين الغربيين، مما يزيد مفهوم الاستشراق عموضًا على عموض.

يقول المبروك الشيباني المصري: «بدا لنا الاستشراق خطابًا زيفًا مثيرًا يجبر من حزمة من الدوال وال السلبيات والفرصيات والارتباطات والعلاقات المتعاضدة المترابطة. ونظرنا إليه بصفته كلاً مركبًا ورؤية مخصوسة ومنهجًا وإيديولوجيا ومؤسسة وظاهرة». (1)

لم يقف هذا التأثير على المفكرين العرب الذين أخذوا بهذا التصنيف أيضًا، بل إن المؤسسات الغربية وبعض المؤسسات العربية الأخرى قد أخذت بهذا التصنيف مأخذًا حيدًا، وبنّت عليه قراراتها، لا سيما المؤسسات السياسية، التي تتضح فيها وجهة العلاقة ووضعًا قويًا. (2)

لم تقتصر تأثيرات التنوير والاستشراق على العالم الإسلامي وعلى النظرة العالمية إليه، بل إنها ت茱ّلت إلى أنها أصبحت مؤثرًا

---


في العلاقة بين الشرق والغرب، تقوم عليها قرارات مصرية تؤثر في حياة الغرب وحياة الشرق معًا. وتؤثرها في حياة الغرب جاء من العمل على الحد من انتشار الدعوة الإسلامية بين الشعوب. أمّا تأثيرها على حياة الشرق فجاء من ضعف ثقة الغرب في الشرق والخوف منه، (1) أخذًا في الحسبان أن الحديث الآن يدور حول الخوف من الإسلام أو الخطر الإسلامي، (2) أو العدوان الجديد للغرب، (3) وللحضارة الغربية المتمثّل في الإسلام. (4)

ومع ازدياد الخوف من الإسلام، وتبذل بعض المستشرقين له تكوّن صورة عن الإسلام تنبئ عن مواصلة نسبة الإرهاب للإسلام. وهذا موضوع مهم له وقفات خاصّة. (5)

---

(1) انظر: الإسلام فويا: استناد حرب التشهية والتحريض، ص 17 - 18.
(3) انظر: جون إسبوزيتو. الخطر الإسلامي بين الوهم والحقيقة/ ترجمة هيثم برزحات - القاهرة: دار الحوار، 2002، ص 333.
(4) انظر: علان غريش. الإسلاموفويا/ ترجمة وتعليق إدريس هاني. - القاهرة: ع، 200، ص 104 - 130.
(5) انظر إلى تعليق إدريس هاني من ص 107 - 120.
(6) انظر: مصدري الدّعّاج. الإسلام فويا: عقدة الخوف من الإسلام، ص 2.
(7) عمان: دار القرآن، 2001، ص 149.
وفي هذا يقول إدوارد سعيد في كتابه تغطية الإسلام: «ومن المحال أن يُقَالَ عن أي دين آخر، أو أي تجمع ثقافي آخر، بنفس الدرجة من التأكيد - ما يُقَال عن الإسلام، أي أنه يُمَثَّل تهديدًا للحضارة الغربية». (1) وفي نص آخر من ترجمة أخرى للكتاب يقول إدوارد سعيد: «لا يمكن القول عن أي دين إنه يُمَثَّل تهديدًا للحضارة الغربية، بِمِثْل التوكيد الشديد الذي يُعْتَمِد الآن عند الحديث عن الإسلام». (2)

ومن هنا يستمرُ شعور بالعمل على صدّ هذا الدين عنانتشار بين الشعوب، بوسائل حديثة شتى، ومنها اختراع أدريعة باسم الإسلام نسيء إليه وتبعد الشعوب عنه، وذلك من خلال تنظيمات ومجموعاتٍ غايةً مترافقة، رأسها وغذاها في الغرب وأطرافها وأعمالها في المجتمعات المسلمة، ثم في الغرب نفسه، من باب أن يتقلب السحر على الساحر!

---

(1) أنظر: إدوارد سعيد. تغطية الإسلام/ ترجمة محمد عتاني. ـ القاهرة: دار رؤية، 2006. ص 32.
(2) نقلاً عن: محمدٌ م. الأرناؤوط. حوار/ صراع الحضارات: دور الاستشراق في النموذج اليوغوسلافي. ـ الآداب. ـ مرجع سابق. ـ ص 77 ـ 71.

167
الفصل الثامن

خطبة الجمعة

من أمثلة الالتفاف على الاستشراق في الدراسات الغربية للشرق الإسلامي هذا التحوّل لدى عدد من المستشرقين من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا، من خلال العناية بالممارسات اليومية للمسلمين، لا سيما ما فيها ربط بالأحكام الشرعية. يؤكد ذلك انشغال رهط من المستشرقين بعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، حيث يذكر عدد من المستشرقين المصنّفين على أنهم علماء في الاجتماع أو الأنثروبولوجيا، من أمثال جوستاف لوبون ول. شاتلبي وربيرا إي طراجو ولويس ماسينيون وجاك بيرك ونيو نهاوز، وجواشون ولاوست ومكسيم رودنسون وأندريه ميكيل ومورو بيرجر وريبيرين ليفي. (1)

قد عُرفَ هؤلاء المستشرقون وغيرهم بهذا رغم أن
يُعرفون على أنهم مستشرقون، مما يقوّي العلاقة بين الاستشراق
وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا، كما هي قوية بينه وبين علم
اللغة "الفيلولوجيا" وعلم التاريخ ثم العلوم السياسية وعلم
اللاهوت، وغيرها من فنون المعرفة.

لا أنَّ العلاقة بين الاستشراق وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا
تبذّر أكثر ووضوحًا في الوقت الراهن؛ نظرًا لـ "التشابه في طبيعة
الدراسة بين الفكر الاستشراقي وعلم الاجتماع". (1)

من هذه الاهتمامات المتأخرة التي تعدُّ مؤشرًا من مؤشرات
الانفتاح على الاستشراق العناية بتأتيِّ خُطبة الجماعة على
المسلمين عامَّتهم وخاصَّتهم. وخطبة الجماعة لقاء أسبوعي
يُتلّقَّع إلى المسلمين ويعودون له العُدَّة الحسية والمعنوية التي
تليق به.

ويُتطلّع المؤمنون إلى صلاة الجماعة وما فيها من حُفَّة تجّدَد
ارتباطهم بالدين، وترفق قلوبهم وتزيد من إيمانهم وتعلقهم بالله
تعالى. ومن هنا كان لزاماً على خُطبة الجماعة أن يسعوا إلى
تحقيق ذلك. ويكثر الناس المصلون عند الخطيب الذي يسعي
إلى تحقيق ذلك ويقبلون عليه. وتنصرف الغالبة عن ذلك

(1) انظر: محمد بن سعيد السرحاني. من صور الاستشراق الحديث:
الاستشراق وعلم الاجتماع. المرجع السابق. ص 1541.
الخطيب الذي لا يملك إبصار رسالته إلى المصلحين، أو ربّما يحرف الخطبة عن مسارها الذي سار عليه الرسول محمد ﷺ. هذه الخطبة كانت وما تزال موضوع الاهتمام والعناية من أولئك الذين يبحثون في علوم الاجتماع والمجتمع، لا سيّما الأنثروبولوجيين من علماء ومفكّرين كثيرين يسعون إلى تأصيل هذا العلم، فكان من دراساتهم تحليل خُطب الجمعة في بيثات إسلامية مختلفة، ومدى تأثيرها على الناس وتأثير الناس بها.

من هؤلاء الباحث الضعيف في علم الاجتماع أبو بكر باقادر، أستاذ علم الاجتماع بجامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية، الذي عُني بتحريره لأكثر من عدد من أعداد مجلة الاجتهاد، التي يصدرها الباحثان رضوان السيد والفضل علي شلق، لا سيّما تلك الأعداد التي ركّزت على موضوع التحوّل من الاستشراق إلى الأنثروبولوجيا. وكان للباحث أبو بكر باقادر إسهام واضح في تحرير الأعداد الخمسة من المجلة (47 و48 و49 و50 و51) للعامين 1421ـ/2000م – 1422ـ/2001م.

يُعرض الباحث باقادر إلى عناية بعض المستشرقين/الأثريولوجيين الغربيين بخطبة الجمعة وتأثير أنثى المساجد والجوامع في المجتمع، ومكانتهما بين الناس، وكذلك تأثير العلماء في الأئمة في مقالة علمية بعنوان: "العلماء من الدراسات التاريخية إلى الدراسات الأنثروبولوجية". (1) بالإضافة إلى عدد من ترجمات علماء الأنثروبولوجيا الذين رُكِّزا بحوثهم في البيئة الإسلامية.

يفند المحرّر في عرضه هذا - بهدوئه المعهود - مقالات بعض الباحثين المستشرقين حول العلماء المسلمين ومواقفهم الاجتماعية، ثم يعرض لبعض الأبحاث الميدانية التي ركّزت على أنثى الجوامع، مثل دراسة ريتشارد أنطون في بحث له بعنوان "الوعاذ المسلم في العالم الحديث: حالة أردنية"، الذي يركز في بحثه على إمام في قرية أردنية تسمّى كفر الماء، وكيف أن الإمام الشيخ لقمان بن الحاج محمّد قد أحال هذه القرية إلى مدينة صغيرة حديثة، أو ينقل إنه أسهم في إخلاء القرية إلى مدينة صغيرة. (2)

باحث آخر يدعى باتريك جافيني درس هذا الموضوع في


(2) انظر: أبو بكر باقادر. العلماء من الدراسات التاريخية إلى الدراسات الأنثروبولوجية. - الاجتهاد. - المرجع السابق. - ص 47.
مدينة المنيا بصعيد مصر، في بحث له بعنوان "منبر الرسول: الوعظ الإسلامي في مصر المعاصرة"، وسعى فيه إلى تصنيف الخطباء بحسب ما يقدّمونه في خططهم، فمنهم الوعظ العالم والواعظ الصوفي والمادية الثوري، ولكن عن هؤلاء الخطباء مرتادوهم. 

إضافة إلى دراسات طلال أسد لبعض البدو الرعيين شمال السودان، ودراسة مأمون الفندي في تحليل الخطب الدينية كذلك، ورصد ما يرد في هذا الخطاب لأنواع الاحتجاج والمعارضة السياسية الإسلامية، لا سيما مع التوجه عند بعض الخطباء إلى استغلال منبر رسول الله في التحليل السياسي، القائم على متابعة الأحداث السياسية اليومية التي لا تنسى تلوًا بالطواب. 

يخلص الباحث أبو بكر باقادر إلى أنه من المصلم به أن لخطب الجمعة أهمية اجتماعية، وأنها تمارس أثرًا مرشدًا في


١٧٣
حياة المجتمعات المسلمة. كما يؤكد الأستاذ الباحث أن الادعاء و"الزعم بأن هذه الخُطب تشكّل الركيزة الأساسية لنمو التطرف الديني أو تولِّد الإسلام السياسي بمعنى الغربي السائد يظهر أنه أمر مبالغ فيه كثيرًا". (1)

يختم أبو بكر باقادر بأن هذه الدراسات إنما تعدّ "بداية لمشوار طويل، يعني هذه المناقشة بعض ما تستحقه من الاهتمام والدراسة. وهي كذلك مناسبة لتوحيه الأنظار، من خلال أمثال هذه الدراسات الأنثروبولوجية، وإعادة التفكير حول أهمية العلماء والخطباء وأثرهم في تشكيل وعي الأمة وضميَّها. ومن ثم فإن إيلاء هذه المؤسّسات الاهتمام الذي تستحقه، وإعادة الاعتبار لمكانة العلماء ودورهم الاجتماعي والفكري، نُداً ملحوًا في حيائها المعاصرة، التي هي في أمس الحاجة إلى فكر مستنير، يعرف كيف يوجه طاقات جمهور المسالِمات وجهودهم وعواطفهم لما في خير الأمة ورفقِها". (2)

هذه اقتباسة بتصرف لغوي فقط أفادت منها كثيرًا، رغم أن قراءتها ليست بالسهولة التي تقرأ بها بعض الإسهامات غير العميقة، في تحليلها لسلوك اجتماعي تحكمه الوجهة الإسلامية.

(1) انظر: أبو بكر باقادر. العلماء من الدراسات التاريخية إلى الدراسات الأنثروبولوجية. الاجتماعية. الإتجار. المرجع السابق. ص 53.
(2) انظر: أبو بكر باقادر. العلماء من الدراسات التاريخية إلى الدراسات الأنثروبولوجية. الاجتماعية. الإتجار. المرجع السابق. ص 54.
الفصل التاسع

إدوارد وديع إبراهيم سعيد

في القدس الشريف ومن عائلة عربية للسان إسلامية الثقافة نصرانية التديين، وفي سنة 1354 هـ/ 1935 ميلادية، ولد الفتى الذي أراد له أهله أن يحمل الاسم إدوارد، تيمنًا باسم أمير بلاد الغال إدوارد وارث العرش البريطاني، الذي كان نجمةً لامعةً في تلك السنة التي ولد فيها إدوارد وديع إبراهيم سعيد. وقد غادر فلسطين وهو في الثانية عشرة من عمره سنة 1947 قبل الاحتلال اليهودي سنة واحدة، فأصبح في عداد اللاجئين. (1)

هو عربي للسان؛ لأنه ينتمي إلى هذا اللسان، وقد نشأ في وسط الثقافة الإسلامية، حيث احترم الإسلام والمسلمون النصارى واليهود، وأبقواهم على دينهم، وتسامحوا معهم، في

(1) انظر: إدوارد سعيد. خيانة المثقفين: النصوص الأخيرة. - مرجع سابق - ص 32.
جو من التعابيش شمل الحواضر الإسلامية التي وجدت فيها هذه الجماعات. ظهر ذلك واضحًا في القرون الأولى، منذ أن انطلق الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى القدس الشريف، واحترم كنسة القيامة، بل قبل ذلك، حينما هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة واستقبلهم النجاشي، وجادلهم في طبيعة المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام - فترحَح رسول الله عليه وقال عنه ما قال. ثم ورد وفد من النصارى العرب إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - وما دار من نقاش حول هذا المفهوم، وكل هذا منثور مثبت في كتاب السيرة وكتاب التاريخ.

موقع السماحة من قبل المسلمين موقف مبدئي، جعل من يعيشون بينهم يتفقون بثقافة الإسلام، دون أن يعتنقوا بالضرورة الإسلام. وإدوارد سعيد مثال من الأمثلة التي تمثلت الثقافة الإسلامية فيهم من نصارى العرب ويهودهم، مع احترامهم بعقائدهم وممارساتهم لها.

في هذه البيئة التي يؤكد عليها المسيحيون أنفسهم نشأ إدوارد سعيد الذي لم يكن راضيًا بحكم العيش في بيئة عربية بالاسم إدوارد مقرön بالاسم سعيد، لا سيَّما أن اسم أبي كان وديعًا واسم جدُه كان إبراهيم. ولذا انعكس هذا الموقف على إدوارد ودبع إبراهيم سعيد في موقعه هو من الثقافة الإسلامية، فكانت بعض كتبه تعكس هذا الانتماء الثقافي، وإن كان قد استخدم مسيحيَّته وما مال إليه من الماركسيَّة؛ لأسباب رئيَّة أنه لم يفسح
عنها، ولكني أظن أنها قربته كثيرًا من المجتمع الغربي الذي احتضنه، وفتح له قاعات المحاضرات في جامعة من الجامعات العريقة في الولايات المتحدة الأمريكية، جامعة كولومبيا بنيويورك المدينة.

يحكى إدوارد سعيد كل هذا في كتاب عنوانه يكفي لترجمة ما كان عليه وما لا يزال عليه الشعب الفلسطيني، حينما وضع قسرا خارج المكان. (1) وهي مذكراته التي كانت قد صدرت باللغة الإنجليزية سنة 1981م، وفيها تفصيل طويل للمشاعر قبل الحقائق، في حياة هذا الرجل الذي أزعج أنه دافع عن الإسلام دفاعًا عكس انتقاءه الثقافي للإسلام، وإن لم يتحدث بلغة المسلم المتمي للمعتقدات الإسلامية، ولا يتوافق معه ذلك؛ لأنّه لم يظهر عليه أنه يؤمن بالإسلام عقيدةً.

وربما أنه كان أيضًا خارج المكان عندما شكّك بعض الفلسطينيين أنفسهم في هويته العربية، فاتهمه الإذاعة الفلسطينية بأنه مستشرق. يقول: «أكسبت كلمة الاستشراق شهرة واسعة كلفظة تجريح وتشهير. ومن المفارقات اللاذعة أنني شخصيًا

هوجمت من قبل إذاعة ياسر عرفات الرسمية أثناء زيارته قمت بها إلى فلسطين سنة 1996 بتهمة «أني مستشرق». (1)

ظهر دفاعه عن هذا الدين وعن الثقافة الإسلامية، وانتشار
عندما أصدر كتابه المشهور باللغة الإنجليزية «الاستشراق» سنة 1398/1978 م. ثم تمت ترجمته إلى اللغة العربية سنة 1401/1981 م. (2) ثم أُعيدت ترجمته في مصر على يد محمد عناني بإضافات تلقت الكتاب، (3) رغم أنّ إذواد سعيد لم يكن متخصصا في الاستشراق، «إنما يعدّه نتيجة لما يمر به الشرق من محن، وخاصة قضىته الفلسطينية». (4)

فأصبح إذواد سعيد علمًا من أعلام نقد الاستشراق الحديث، إلى درجة أن المعنيين بالحديث عن الاستشراق في الشرق والمغرب أصدروا مؤسّسون للاستشراق فيما قبل كتاب إذواد سعيد Pre-Edward Said or Pre Saidism وما بعد كتاب إذواد سعيد Post- Edward Said or Post Sadism. (5)

والسعودية والعربية إنجلزية واللغات الأخرى، لكنه ترجمته هذه الكلمة "السعودية" غير مقبول باللغة العربية؛ لما فيه من الإبهام، فسعود اسم شائع باللغة العربية. والمقصود الآخر الذي تركه الكتاب الذي أصدره إدوارد سعيد عن الاستشراق في طبعته الأولى سنة 1978م، ثم ما جاء عليه من تعقيبات، وما انبني عليه من كتاب آخر للمؤلف إدوارد سعيد نفسه.

بِغْضِ النَّظَرِ عَنَّ الأَسْلَوَمٍ الطِّلْسَمِيِّ الَّذِي تَقَلَّ فِي كُتَاب الاستشراق إلى اللغة العربية في الترجمة الأولى إلى اللغة الإنجليزية باعتراف الأديب المترجم، مما حفَّ الترجمة بالغموض، إلا أن الرجوع إلى الأصل باللغة العربية، لمّ يَسْتَطِيعْ ذَلِكَ تُمَّ الرجوع للترجمة الثانية للكتاب الأوليّة أسلوبًا وصياغةً، (1)

يَوْكَدْ أَنَّ الْفِكْرَةَ العَامَّةَ لِكُتَابِ بِغْضِ النَّظَرِ عَنَّ التَّفَاصِيلِ كَانَ تُصْبُهُ فِي الْدِّفَاعِ عَنَّ الثَّقَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، بِأَبْعَادَهَا السِّياسِيَّةِ والعلميَّةِ والأدبيَّةِ والفكريَّة*. مع غلبة الدفاع عن الثقافة الإسلامية في جانبها السياسي بتركيز واضح. وربما أن هذا الجِدُّ السياسي هو الذي أسهم في شهرة الكتاب في الأوساط الثقافية الشرقية والغربية؛ لأنه- على ما يظهر- وافق هوَّة في النفس في الجانبين الثقافيَّين، فبولًا أو رفضًا، لا سيّما مع بروز النفس الماركسي في الكتاب والكاتب.

(1) انظر: إدوارد سعيد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق - مرجع سابق. 560 ص.
منذ صدور كتاب الاستشراق تعرضت إدوارد سعيد لهجوم ودفاع عن الكتب الغربيين والعرب، ولا يزال منازع نقاش وجدال وهجوم ودفاع، مما جعل إدوارد سعيد نفسه يصدر كتابًا في التعقيب على كتابه الاستشراق سماه "تعقيبات على الاستشراق". (1) ثم نشر له كتاب آخر بالاشتراك مع إعجاز أحمد يعلق فيه على بعض ما ورده من تقد على كتابه الاستشراق. (2)

ثم الكتاب الآخر الذي دافع فيه إدوارد سعيد عن الإسلام، هو ما تمّت ترجمته أو نقله إلى اللغة العربية بعنوان: "تغطية الإسلام الذي صدر سنة 1403هـ/1983م". (3) وأظن أن كلمة تغطية في العنوان لم تُعَ المدلول الدقيق لما يقابلها باللغة الإنجليزية، إذ إنها أفهمها على أن أفضل كلمة تعطي المدلول هي تعمية الإسلام، ذلك أن كلمة تغطية،

__________________________

(2) إنظر: إعجاز أحمد وإدوارد سعيد، الاستشراق وما بعده: إدوارد سعيد من متطرّف النقد الماركسي/ترجمة وتقديم نادر ديب. - دمشق: دار ورد، 2004م. - 244 ص.
بالمفهوم الإعلامي الحديث، تعني خلاف ما قصده المؤلف، إذ يتناول في الإعلام أنَّ التغطية تعني الإظهار أو الإشارة أو الإعلان عن الشيء، بينما الذي أراده المؤلف هو ما جاءت عليه أصل الكلمة في اللغة الإنجليزية، التي قد تعود جذورها إلى اللغة العربية، والتي تعني الكُفر والجحود والـدُّرَس والتعمية:

هَذَا بِإِلَّا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجْنَبَ عُورَاتِ الثَّغُورِ ظَلَامُهَا

وَقَالَ تَعَالَى: «ثُلِّجْ أَلْزِمَ مِثْلَهُ» (الفتح: من الآية 29)، رغم أنَّ الكتّاب يركز على تعامل الإعلام مع المعلومات غير الموثّقة عن الإسلام والمسلمين، فإنَّ ناشئ في كتابه تغطية الإعلام الغربي بالمفهوم الصحيفي، مما أدّى إلى تعمية الإسلام. (3) وهذا مما يطول بحثه.(3)

هذا بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى التي جمعت فيها مقالاته في الدوريات العربية والأجنبية ومنها تأثيثات حول المنفى، (4) وإسرائيل

(1) البيت من معلقة ليث بن ربيعة، ومطلعها:
عفّت الديار محلها ومقامها، بمنى تأبى غولها فرحامها.


181
العراق، الولايات المتحدة، وصور المثقف، ونهاية عملية السلام: أوسلو وما بعدها، والثقافة والإمبريالية، الذي اكمل فيه ما لم يُنْعَ له كتابه الاستشراق، والآلهة التي تفشل دائمًا.

وهذا الكتاب الأخير تكرارًا لكتاب صور المثقف، في المحاضرة التي حملت العنوان نفسه، مع إضافة لمقالات أخرى. وكتب بالاشتراك مع برنارد لويس «الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية»، ونظائر ومفارقات، مع دانيال بارنبرويم، ومقالات وحوارات، وغيرها.

(4) انظر: إدوارد سعيد. الثقافة والإمبريالية. - مرجع سابق. - 411 + ص.

182
ما يأتينا تباعًا (1) على أنَّ المشاركة مع برنارد لويس وإعجاز أحمد من تجمع الناشرين، وليس بالضرورة بتوافق مع المؤلف المشارك في موضوع الكتاب.

لقد وددت أن يَسع المقام للمزيد من النقاش حول هذا الكتاب، مرورًا ببعض ما كتب عنه وكتبته، مثل دفاعًا عن إدوارد سعيد، (2) وإضاءات على كتاب الاستشراق، (3) وإدوارد سعيد ومفارقة الهوية، (4) وإدوارد سعيد: رواية للأجيال، (5) وإدوارد سعيد: آخر العمالقة جاء من فلسطين، وهو كتاب تأليفي اشتمل على ثماني وسبعين مقالة لثمانية وسبعين كاتبًا ومفككًا عربيًا. (6)

(2) انظر: فخري صالح. دفاعًا عن إدوارد سعيد. - بروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000م. ـ 121 ص.
(3) انظر: بلقر بري. إضاءات على كتاب الاستشراق لـ إدوارد سعيد. - بروت: دار الهادي، 1432/ 2012م. ـ 120 ص.
(6) انظر: سلطان الخطاب. إدوارد سعيد: آخر العمالقة جاء من فلسطين. - عمّان: دار العربية، 2003م. ـ 294 ص. وينتهي المؤلف الكتاب بصورة لإدوارد سعيد وهو يشارك في انتفاضة الحجارة، برمه حجرًا جُنود الاحتلال، على بوابة قاطمة، جنوب لبنان، مجسدة بذلك معنى الانتفاضة، ومشاركًا بها، من الخارج.

183
وغيرها ممّا كتبته هو، أو كُتب عنه، ولا تزال الدراسات حول هذا المفهوم العربي المترشب تزري، بأقلاع عربية وغير عربية. ومنها تلك الإسهامات التي ظهرت حول إدوارد سعيد: الملفّ الذي نشرته مجلة الكرمل في عددها 78 (شتاء 2004م). - على النحو الآتي:

- صبّحي حديدي. إدوارد سعيد: المنفى، قلق الانشقاق، والنظرية المترجلة. - ص 7-12.

- ستيف هاو. إدوارد سعيد: المسافر والمنفى/ترجمه بتصرُّف صبّحي حديدي. - ص 14-23.

- فيصل درّاج. صور المثقف عند إدوارد سعيد. - ص 24-45.


- محمود بنيس. إدوارد سعيد النجيّة لك. - ص 56-59.

- محمود شاهين. إدوارد سعيد: ذاكرة ليست للنسبان. - ص 60-71.


- إدوارد سعيد. متناه التسجادات /ترجمة صبّحي حديدي. - ص 93-102.
صبحي حديثي، محاور. إدوارد سعيد: الهويّات تعُدُّية والمنفى حقلٌ كريم. - ص 118 - 119.

غاري هينزلي وآن ماكلينتوك، محاوران. إدوارد سعيد: عن النصّ والنافذة/ترجمة فخري صالح. - ص 131 - 132.

هذا بالإضافة إلى عدد من الإسهامات التي سعى تركي بن خالد الطفيري إلى رصد شيء منها. (1)

ولعل من آخر الاحتفالات بالراحل إدوارد سعيد، ما دعت إليه منظّمة الجالية الفلسطينية في بريطانيا، بالتعاون مع جمعية التضامن مع فلسطين في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، من تنظيم يوم إدوارد سعيد، يُشارك فيه نخبة من الأكاديميين من الجامعات البريطانية والأمريكية والعربية، وذلك في الثالث من أكتوبر 2004م. ذكرت ذلك صحيفة الشرق الأوسط في عدها 94322 في 24/9/2004م. - ص 22.

على أي حال فقد رحل إدوارد بديع إبراهيم سعيد، المولود في الطالبية في القدس، حيث كان حيّا يقطنه الموسرون العرب، وترك وراءه إثرًا أدبيًا وفكرًا، كان له تأثيره على الساحة الفكرية الأدبية. وكان رحيله يوم الخميس 29/7/1424هـ الموافق 25/9/2003م.

(1) انظر: تركي بن خالد الطفيري. الاستشراق عند إدوارد سعيد: رؤية إسلامية. - مرجع سابق. - 280 ص.
لم تعرّض هذه الوقفة إلى أثره في السياسة وشخصيته من
هذا المنطلق، إذ إن لهذا الجانب من يملك زمامه. (1)
وفي الختام يحتاج هذا الأستاذ المفكّر إلى مزيد من
الاعتراف بما له من إسهامات في هذا المجال، الذي ركّزت
عليه هنا، على اعتبار أنه مثل غيره يؤخذ من كلامه ويردّ. والذي
ظهر لي أن ما يؤخذ من كلامه أكثر مما يردّ.
لعلّ المجال يسمح في مستقبل الأيام للغوص - إن شاء الله
تعالى - بمزيد من الساحة في حياة مؤلف عاش حياته خارج
المكان وناصر قضية العرب والمسلمين الأولي بقدر من العمق،
في محاولة لدراسة مستقلّة حول رحلة الأستاذ الدكتور إدوارد
بديع إبراهيم سعيد في المجال الفكري الأدبي من حياته.

---

(1) انظر مثلاً: طارق علي، ذكريات مع إدوارد سعيد، ترجمة سامح فكري،
فسول. 64 (صيف 2002م)، ص 22-27.

186
الفصل العاشر

برنارد لويس

عندما يكتب باحث من غير المتخصصين عن برنارد لويس
المستشرق المعاصر، أستاذ دراسات تاريخ الشرق الأدنى المتقاعد
في جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية، تجد من
المتخصصين في الاستشراق ومن الذين يبحثون كثيرًا في إسهامات
المستشرق برنارد لويس (1916م) من يُعدُّ هؤلاء الباحثين دخلاء
على هذا المستشرق بعينه، ولعله تدخل برعي الباحثين
المتعمقين؛ لأنه يبيّن مدى علمهم بالمستشرق وفكره ومبادئه، في
مقابل ضعف معلومات الآخرين به، ممّن يكتبون عنه، لا سيّما
أولئك الذين قرأوا له كتابًا أو كتابين من إنتاجه الغزير.

برنارد لويس مستشرق يتحداه من أصول تركية ويقال إنه يعود
في جذوره إلى يهود الدونم، فهو يهودي معتقل صهيوني
الفكر إنجليزينشأة أمريكا الجنسية والإقامة المتاخرة، له
إسهامات كثيرة في مجال الاستشراق، وينكر المصطلح

187
الاستشراق ويرغب في رميه في زبالة التاريخ، ويواصل جهوده في المسمى أو مضمون الاستشراق.

نزع في البداية إلى دراسة الفرق التي ابتقت عن الإسلام، فكتب عن الحشاشين (1)، وكتب عن أصول الإسماعيلية والفادقية والفرطمة (2)، وكتب في التاريخ الحديث كتابين ليست في مستوى البحوث التي قدمها في الكتبات التاريخية (3)، ذلك أن النزعة الصهيونية، التي يصرّ بها هو و يؤكّدها، سيطرت على كتابته في التاريخ الحديث، فظهرت أقرب إلى الكتبات الإعلامية منها إلى الكتبات العلمية المنهجية، فكتب عن الإسلام والغرب، وعن صدام الحضارات، صديٌّ لما كتبه زميله - وربما تلبيذه - السموأل.


Unauthenticated
Download Date | 5/21/15 2:28 AM
"سموثيل" هنتنجتون، وكان العنوان الفرعي لهذا الكتاب: المسيحيون والمسلمون واليهود في عصر الاكتشافات، وكتب عن الشرق الأوسط " ألفا سنة من التاريخ من فجر المسيحية حتى ممنا هذا". وكتب عن الساميين وغير الساميين.

عرّج في كتاباته على تركيا، وسمىًها في أحد كتابه تركيا الحديثة، وجعلها في كتابه الأخير "مستقبل الشرق الأوسط"، هي القوة المتقبلة في هذه المنطقة في العقود الخمسة الأخيرة، وهي "المرشحة للعب الدور الأول مع إسرائيل في الشرق الأوسط"، خلال هذه العقود التالية. كما كتب عن إسطنبول، على أنها تمثل حضارة الخلافة الإسلامية.(1)

متاثر بحركة مصطفى كمال أتاتورك، التي يعدها انطلاقة تركيا الحديثة، ويعود عليها في أن تكون البديل الذي يريد، من خلال منطقه الفكري والعقدي ومشروعه السياسي، ذلك أنه يرى ما لم يصرّح به، وهو أن البلاد الأخرى المشمولة في مصطلح الشرق الأوسط جغرافيًا كونها تميل إلى تطبيق الدين في قضيّتها مع اليهود في فلسطين المحتلة. ولذلك فلا بدّ عنده إذا أراد العرب التقدم من "مغادرة الإسلام" كما فعل الترك.

وهل غادر الترك الإسلام؟! يظهر أن هذا الإطلاق يبنى عن آمال وطموحات wishful thinking لا مكان لها من واقع العالم الإسلامي اليوم.

لكن برنارد لويس يتخلى عن هذه النظرة، ويعود إلى تاربخاته، بعد أن وصل إسلاميون إلى السلطة في تركيا، ليستنتج أن الإسلام التاريخي والتقليدي لا يشكو من شيء، بل المشكاة في الوعي العربي، والمارسه العربية. (1) ويقول في موضوع آخر: بعض الدارسين الكبار للإسلام يقولون - وهم محتمل و في ذلك إنما لا ينبغي الحكم على الإسلام/ الدين الإسلام والثقافة، من خلال سلوكي بعض الناس أو بعض الفئات الاجتماعية. وهذا ليس مقصورًا على الحاضر، بل يعود إلى الماضي، أيضًا. (2)

يقول رضوان السبّيد عن منهجه الجديد: لويس تاربخاني، أي أنه ما يزال من أتباع المدرسة القديمة في الاستشراق، لكنه وبسبب الحاجات السوقية المتزايدة للتعرّف على الإسلام، كتب خلال العقد المنقضي خمسة أو ستة عروض شهية، توصيل

إلى النتائج نفسها التي أوصلت إليها آراء المتأنرين السطحيين
بأنثروبولوجيا الإسلام". (1)

ومنها على سبيل المثال مقالته في مجلة التسامح حول
مستقبل العالم العربي في القرن الحادي والعشرين، ويكمل في
هذه المقالة من استخدام مصطلحات سياسية طاغية على الساحة
الفكرية السياسية، ويقحم نفسه مره أخرى - من خلال مشروعه
في تفتيت العالم الإسلامي والعبري - في الصراع بين اليهود في
فلسطين المحتلة والفلسطينيين، ويقدم رؤاه أو توقعاته حول
حلول للقضية تضمن بقاء اليهود - دولته لا شعبا - في فلسطين
المحتلة. (2)

هو لا يريد هذا البعد أن يكون هو الدافع للتعامل مع اليهود.
ولذا وجد في غير البلاد المجاورة لفلسطين بديلًا مناسبًا، فهم هو
منه أنه سيقبل بالأمر الواقع، ويعامل مع اليهود من هذا الواقع.
فكان له إسهاماته في دعم الوجود اليهودي في فلسطين المحتلة،
تلك التي تُعزى لبعض المستشرقين من اليهود بخاصية. (3)

(1) انظر: رضوان السيّد. الصراع على الإسلام: من الاستشراق إلى
الأثروبولوجيا. النسائح. - مرجع سابق. - ص 71 - 83.
(2) انظر: برنارد لويس. مستقبل العالم العربي في القرن الحادي والعشرين. -
(3) انظر: عباس الرحيله. الاستشراق الألماني والقرآن الكريم. - نسج: دار
الحديث الكتانية، 1435 هـ/ 2014 م. - ص 106.
هذه هي النظرة الإعلامية المسطّحة التي وقع فيها برانارد لويس في إيجاد البديل، لأن من رشعه بديلاً فليس بالضرورة قانونًا ولا مقتنعاً في هذا الواقع، إذ تظل تركيا بلداً مسلمًا، قامت العالم الإسلامي قرًونًا، ومعظم سكانها ذوو عاطفة قوية نحو الإسلام والمسلمين، لا سيما مع استقلال جمهوريات الاتحاد السوفياتي وهي أذربيجان وقازاخستان وقيرغيزستان وتركمانستان وأوزبكستان وطاجيكستان، وهي دول إسلامية، وجمهورية جورجيا وجمهورية أرمينيا، وهما دولتان في أغلىهما مسيحيتان.

الدول الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق ذات ارتباط بالتركية والأرتركية وثقافته، وارتباط آخر بالفارسية لغةً وثقافةً كذلك، ولكنه ليس في مستوى الارتباط بالتركية.

تظل تطلعات برانارد لويس كأماني وتوقعات، جاءت في عنوان كتابه تنبؤات برانارد لويس. والترجمة العربية غير دقيقة، والأولى أن تكون توقعات، لأنها تناسب مقابلها الأجنبي (1) وتوافق مع مشروعه الذي يسوّقه بقوة للإدارة الأمريكية والحكومات الغربية الأخرى.

كان هذا المستشرق هو محور البحث الذي قام به الباحث في الاستشراق مازن بن صلاح المطبقاني. وهو بحث مستفيض

---

نال عليه الباحث درجة الدكتوراه من قسم الاستشراق في فرع المدينة المنورة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
والباحث مازن مطباقي حجة في أعمال برنارد لويس، فقد ذهب إليه بنفسه، وحاوره وناقشته. وضمن المستشرق من الباحث. وربما أن برنارد لويس قد حصل على نسخة من هذا البحث بعد إتمامه ومناقشته ثم نشره من مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، وإن لم يكن قد حصل على الكتاب، فإنه ربما قد علم به عن طريق آخر. وهو بحث جدير بالاطلاع.

كتابة لويس ممتعة ولغته بسيطة، وتحليله ممتع لكثير من الناس الذين يلقون معه في نظرته إلى الشرق الأدنى وشعوبه. وهو يظل مستشرقًا، وإن سعى إلى رمي المصطلح في "مزيلة التاريخ". وهو الذي يرى في الوقت نفسه أن الاستشراق بحث علمي نزيه ومن ثم فهو فوق النقد.

يقول سردار عن دفاع برنارد لويس عن الاستشراق إنه: "دفاع ضعيف ومضحك، ولا يستحق أي اهتمام حقيقي". ومن ذلك الإعتقاد الذي تنتمي به بعض إسهامات المستشرقين جاء التأثر بهم، حين يكتبون عن المنطقة والذين الذي نؤمن به،

(2) انظر: ضياء الدين سردار. الاستشراق: صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية. - مرجع سابق. - ص. 127.

193
الفكر الذي يسيّر الناس، ويسيّر الناس من خلاله، لا سيّما أولئك الذين لديهم الرغبة في التغيير، أي كان هذا التغيير.

هذا شعور ليس محدّثًا، بل هو قديم قدم هذه الإسهامات الخارجية، حتى قبل من سنين عديدة تصل إلى ستة عقود مضت: إن المستشرقين قد فهموا الإسلام أفضل من فهم أهله له، (1) وحتى قبل إن بعض المناطق الإسلامية ليست إسلامية الروح، بقدر ما هي أوروبية الهوى مثل مصر وربما تونس والجزائر! وينبغي أن تكون كذلك. وهذا الشعور التغريبي ناتج عن قراءات سريعة، غير تحليلية لكتابات ممتعة، ولغتها بسيطة. وناتج كذلك عن قدر من الجمود في الفكر العربي، في مرحلة من المراحل التي يتجاهل فيها ما يسمى اليوم بالفكر الإسلامي، مع ظهور تحقّف على هذه التسمية. (2)

ليس كل المستشرقين بيّنون ذلك في كتاباتهم وتعليقاتهم، حتى أوضح من الصعب على الباحثين في الاستشراق استخلاص هذا الانتماء الجذري والفكري، إلا بعديد من تحليل الكتب.

هذا يحتاج إلى المزيد من التخصّص في الأفراد من المستشرقين، على غرار ما قام به الباحث مازن المطباقي،


194
الذي درس برنارد لويس دراسة علمية أظهر فيها انتماه الديني والفكري، وهذا من حقه، كما هو حقُّ قد أُعطي للمدرسو، فلمَّا يُعطى للدرس!

المُستغرب أن عمل الباحث في الاستشراق مازن المطلباني لم ينل الانتشار المتوقع له، لأسباب عدة؛ لعل من أسبابه أنه تعرض لمفكّر صهيوني مُحميٍّ. على اعتبار أن هناك مفكرين مُحميين لا يصلهم النقد، وإن وصل فإنه لا ينتشر.

مهما يكن من أمر فإنَّ وقفتني مع المستشرق اليهودي الصهيوني برنارد لويس قد أثبتت في تحليلاته نقاطًا عدّة، أكّدت الموقف العربي منه، في توجيهه إلى التاريخ الحديث، ولجوئه إلى التحليل السريع الإعلامي، في أساليب لم يكن معهودًا عليه، في إسهاماته في تاريخ الشرق الأدنى، إلى درجة أن يصف عبداللطيف الطيباوي هذا الأساليب بالأسلوب الصحفي الهاشم، الداخلي في باب الفرضيات والتكهنات الصحفية، غير المنظورة من أستاذ أكاديمي في مقام المستشرق برنارد لويس. (1) وقال عنه الباحث في مقارنة الأبدان سهيل زكار الذي أشرف عليه في درجته العليا في بريطانيا: إنَّ برنارد لويس في «نسخته» الأمريكية

غير برنارد لويس في «نسخته» البريطانية. قالها لي في زيارة له مع زملاء في مقامه في دمشق.

وهو بهذا يتحوّل من العمق الذي كان يتَّسم به عندما كان في بريطانيا إلى أن يكون مستشارًا للسياسة الأمريكية، إذن حكم الجمهوريين، لا سيما نائب الرئيس بوش الأب ديك تشيني، وما يزال، فأصبح رجل دولة كبيرًا. وقُدّد على أهمية استخدام القوة مع المسلمين والعرب؛ لأنهم لا يفهمون إلا ذلك».(1) وهذا جزء من مشروعه التنظيمي.

هو بهذا يحقق من الغايات لديه ويعتقد فكره السياسي أكثر مما يحققه أو حققه لها في مسيرته الأولى البحثية التاريخية، وإن ضحى أكثر بسمعته العلمية، وبعمق البحث العلمي في أعمق الفرق التي انحرفت عن الفهم الصحيح للإسلام، وقد يسير جدًا من التحليل الموضوعي لتلك الفرق.(2) فهو لم يذهب بعيدًا، سوى أنه مال إلى التبسيط غير المعهود بين المستشرقين. ولهذا يُسوّغ هذا التحول برغبته في الخروج من عباءة الاستشراق والتفاقه على المصطلح بعد أن كان ملتفًناً له؛ سعيًا إلى رمي في زيارة التاريخ.


مراجع البحث

1. آبري، آ. ج. المستشرقون البريطانيون/ تعريب محمد الدسوقي
   النوبهي. - لندن: وليام كولينز، 1946 م - 48 ص.
2. أبو زيد، بكر بن عبد الله. تصنيف الناس بين الظين واليقين.
   الرياض: دار العاصمة، 1414 هـ. - 98 ص.
3. أبو العزم، عبد الغني. مع المستشرقين كلود كاهن وأندري ميكيل.
   شؤون عربية، 12 (شباط/ فبراير) 1982 - ربيع الثاني 1402 م - 274-296 ص.
4. إبراهيم، سمير عبد الحميد. فقه الإسلام في اليابان بين الماضي والحاضر.
5. أحمد، إعجاز وإدوارد سعيد. الاستشراق وما بعده: إدوارد سعيد من منظور النقد الماركسي.
6. همزة، علي عبداللطيف. ما بعد الاستشراق: مراجعات نقدية في التاريخ الاجتماعي والثقافي المعاصر.
   بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009 م - 159 ص.

197

8 أرحبة، عباس. الاستشراق الألماني والقرآن الكريم. طنجة: دار الحديث الكبائية، 1435/2014م. 113 ص.


13 إسبرونتو، جون. الخطر الإسلامي بين الوعى والحقيقة/ ترجمة هيثم فرحات، اللاذقية: دار الحوار، 2002م. 333 ص.


198


24 - أوريدا، حسن. الاستغراب أو نظرية الآخر إلى الغرب. - محاورة معيبة في افتتاح نشاط مؤسسة إدمون عمران المليح، 1425 هـ.

199


27 - بيري، بلقر. إضافات على كتاب الاسترياق ل إدارود سعيد. - بيروت: دار الهادي، 1422هـ/2002م. - ص 120.


200
34: التليدي، بلال. الإسلاميون ومراكز البحث الأمريكية: دراسة في أزمة النموذج المعرفي، حالة معهد واشنطن ومعهد كارنيجي.


201

202
51 - حمييش، سالم. الاستشراق والعقد الاستعماري - الإجهاد - 23 (ربع عام 1414 هـ/1994 م)، 197- 211.


55 - حمو، أحمد رضا. ملاحظات مستشرق مسلم على بعض آراء المستشرقين وكتبه المتعلقة بالعرب والإسلام - المنهاج. - 2 - ج7 (7/636 هـ- 9/938 م)، 30- 34.

56 - الجديدي، إحسان علي. فلسفة الدين في الفكر الغربي - ط2 - بيروت: دار الوفادين، 2015 م، 360 ص.


203
59- خفاجي، محمد عبد المنعم. المستشرق المسلم عبد الكريم جرامونس في وصف رحلته إلى الجزيرة العربية. المنهاج. مج. 30 ع10 (10/1/1384ـ/1965ـ). ص 700ـ 710.


204


1985 156 ص. (سلسلة كتاب الأمّة 4).


55 - زيادة، خالد. ماركس ونهاية الاستشراق. الفكر العربي. نيسان (إبريل) - حزيران (يونيو) 1983. ص 160 - 163.


208


210


119 - الشامان، مسعد سويلم. إستنبول وحضارة الخلافة الإسلامية لبرنارد لويس. - عالم الكتب مع 5 ع (رجب 1404/ إبريل 1984).


125 - شبل، الفضل. الاستشراقي والتراش. - الاجتهاد. - ع 49 (شتاء عام 1422/1423).

211


صالح، فخري. دفاعًا عن إدوارد سعيد. بروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2000. 311 ص.

صالح، روز ماري. نهاية الاستشراق. قضايا عربية. 7، مج. 2 (جمادي الآخرة 1400هـ - مايو 1980م). ص 311-318.


الظفيري، تركي بن خالد. الاستشراق عند إدوارد سعيد: رؤية إسلامية. جدة: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 1433هـ/2012م. 280 ص.

عادل، إبراهيم. المدرسة الألمانية ومصطلح الاستشراق الجديد. المجلة العربية. 48 (محرّم 1437هـ/نوفمبر 2015). 212.


213
144 - العروي، عبد الله. الابتكارات الثقافية العربية المعاصرة. – الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006م. – 256 ص.


148 - العسري، محمد عبد الواحد. الإسلام في تصورات الاستشراق الإسباني من ريموندوس لولوس إلى أسين بلانيوس. – ط. 2. – بيروت: دار المعارف الإسلامي، 2015م. – 343 ص.


151 - العقيري، نجيب. المستشرقون: موسوعة في تراث العرب، مع تراجع المستشرقين ودراساتهم عنه، منذ ألف عام حتى اليوم. – ط. 5 – 3 مح. – القاهرة: دار المعارف، 2006م.

153 - علي، محمد كرد. أغراض المستشرقين. - الرسالة. - مبم 3 ع (صف 1477)، ص 114.


156 - عمارة، محمد. الانتماء الثقافي. - القاهرة: دار نهضة مصر، ص 80. - سلسلة في التنوير الإسلامي; ص 6.


160 - غانم، جون م. الاستشراق والقرن الوسطي/ ترجمة عبلة
عودة. - أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة/ مشروع كلمة، 1433 هـ/ 2012 م. - 208 ص.


168 فيليزا، مدير المدرسة الفرنسية للشرق الأقصى كوليج دي


217


177 - لوندك، بيريس. بشّر مثلنا: تحريف الحقائق في الشرق الأوسط/ترجمة حسن البستاني. - بيروت: النادار العربية للعلوم، 2010م. - ص 244.


218
183 - لويس، برنارج. مسألة الاستشراق. ص 159 - 162. - في:
- هاشم صالح، معهد وترجم. الاستشراق بين دعاء ومعارضي.

184 - لويس، برنارد. مستقبل الشرق الأوسط: تنبؤات. - بيروت:
- رياض الريس، 2000م. - ص 140.

185 - لويس برنارد. مستقبل العالم العربي في القرن الحادي والعشرين:

186 - لويس، برنارد وإدوارد سعيد. الإسلام الأصولي في وسائل
- الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية. - بيروت: دار الجيل،

187 - المحاسني، سماء زكي. التعريف بمجموعة من المستشرقين
- وبيجهودهم في الدراسات الأدبية واللغوية وفي إعداد فهرسة
- المخطوطة العربية. - بيروت: دار البشائر الإسلامية،
- 1436/2015م. - ص 5 - 8. - (سلسلة مكتبة ومركز فهد
- بن محمد بن نايف الدبوس للتراث الأدبي - الكويت; 29).

188 - محاضرات عن الاستشراق. - لم يذكر فيها الكاتب. على
- في 1437/2015م.

189 - محاميد، عمر وآنا دولينانا. الاستشراق الروسي: رسائل الأدباء
- والعلماء العرب في أرشيف مكتبة العلوم الروسية، ملف
- المستشرق أغنيتا كراتشوفسكيا. - أم الفحم: مركز الدراسات
190 - محفوظ، محمود. الإسلام، الغرب وحوار المستقبل. – الدار
البيضاء: المركز الثقافي العربي، 1998م. – 320 ص.

191 - المدير، عبد الله بن محمد بن عبد الله، مؤسسة البحث والتطوير
(رائد) وموقفها من الدعوة الإسلامية: دراسة و صفية تحليلية نقدية
في الاستشراقي الأمريكي الجديد. – جدّة: مركز التأصيل
للدراسات والبحوث، 2015م. – 766 ص.

192 - مراد، مصطفى. نهاية العالم. – القاهرة: دار الفجر للتراث،
1434هـ/2013م. – 312 ص.

193 - المسالي، مصطفى نصر. الاستشراقي السياسي في النصف الأول
من القرن العشرين. – طرابلس: إقرأ، 1986م. – 288 ص.

194 - مطبّقاني، مازن بن صلاح. الاستشراقي المعاصر في منظور

195 - مطبّقاني، مازن بن صلاح. التاريخ الإسلامي: دراسة تطبيقية على كتابات برتراند لويس.

196 - مطبّقاني، مازن. بين الاستشراقي والاستغراب: أيهما أولى؟ –

197 - مطبّقاني، مازن بن صلاح. دراسة الاستشراقي ونبدأ الآن في

220
٢٠٠٠ معلوم، أمين. الحربة الصليبية كما رأها العرب/ ترجمة عفيف، دمشقية. ط. ٢ - بيروت: دار الفارابي، ١٩٩٨م. ٣٥٢ ص.
٢٠٠١ المنتصري، المبروك الشبيمي: صناعة الآخرين: الحضارة في الفكر العربي، من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا - بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠٠٤م. ٣٠٠ ص.
٢٠٠٢ موسى، سليمان. عربي وليس مستشرقًا. - العربي. ٦٨ (٣) (٢٠٠٦). ص ٢٧.
٢٠٠٣ الموسوي، محسن جاسم. الاستشراق في الفكر العربي. - بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٣م. ٢٠٦ ص.
٢٠٠٥ النجاح، شكري. نُم الاهتمام بالاستشراق؟ - الفكر العربي. - ٣١ (قانون الثاني (يناير)اذار (مارس) ١٩٨٣). ص ٦٠ - ٦٩.
206 - نجدي، نديم. أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند
إدوارد سعيد - حسن حنفي - عبدالله العروي. - بيروت: دار
الفاراري، 2005م. - 562 ص.

207 - نجدي، نديم. جدل الاستشراق والعلولمة. - بيروت: دار
الفاراري، 2012م. - 343 ص.

208 - النذور، أبو الحسن علي الحسني. الإسلام والاستشراقون: نظرة
فاحصة في كتابات المستشرقين وبحوثهم واستعراض إجمالي
لأدب الدعوة في اللغات الأجنبية والعمل التحقيقي الموسوعي في
العالم الإسلامي. - دمشق: دار ابن كثير، 1436ـ/ 2015م. -
88 ص.

209 - نصري، أحمد. بحوث في الاستشراق: قراءة في التاريخ
والمحال والمال. - ط 2 - الربط: دار الفيلم، 2013م. -
109 ص.

210 - النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية
بين الشرق والغرب. - بيروت: مكتبة ميسان، 1436ـ/ 2015م. -
235 ص.

211 - النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق والإسلام في المراجع
العربية. - بيروت: مكتبة ميسان، 1431ـ/ 2010م. -
244 ص.

212 - النملة، علي بن إبراهيم. الاستشراق وعلوم المسلمين في
المراجع العربية. - بيروت: مكتبة ميسان، 1436ـ/ 2015م. -
256 ص.

213 - النملة، علي بن إبراهيم. التنسيق الحضاري بين الأمم في ضوء
تناول العلوم والآداب والفنون - الرياض: المؤلف، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م. - ١١١ ص.

٢١٤ النملة، علي بن إبراهيم الحمد. التنصير في المراجع العربية: دراسة ورصد ورقي للمطبوع، ط ٢. - الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. - ٣١٩ ص.

٢١٥ النملة، علي بن إبراهيم. الشرق والغرب: منظورات العلاقات ومحدداتها، ط ٣. - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. - ٣٥٢ ص.


٢١٧ النملة، علي بن إبراهيم. كنئ الاستغراب: المنهج في فهمنا للغرب، ط بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م. - ٢٧٥ ص.


٢١٩ النملة، علي بن إبراهيم. المستشرقون والسيرة والعربية في المراجع العربية، ط بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. - ١٥٧ ص.

٢٢٠ النملة، علي بن إبراهيم. المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية، ط بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م. - ٢٦٩ ص.
شبكية
www.alukah.net

221- النملة، علي بن إبراهيم الحمد. المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونمائز من التحقق والنشر. ـ الرياض: مكتبة النوبة، 1444 هـ/2023 م. ـ 191 ص.

222- النملة، علي بن إبراهيم. مصادر المستشرقين ومص妒يئهم. ـ بيروت: مكتبة بيسان، 1433 هـ/2012 م. ـ 262 ص.

223- النملة، علي بن إبراهيم. موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمراد والتأصيل. ـ الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، 1433 هـ/2012 م. ـ 87 ص.


228- هرامش، عبد الرزاق بن إسماعيل. الدراسات القرآنية عند
المستشرقين خلال الربع الأول من القرن الخامس للهجرة. - مجلة البحوث والدراسات القرآنية. - مج 3 ع 6. - ص 95 - 152


المراجع الأجنبية:


236 – Dudoignan, Stephane A. Some Side of a Progressive


245–Prakash, Gyan. «Writing Post-Orientalist Histories of
the Third World: Perspectives from Indian Historiography.- Comparative Studies in Society and History, 32:2 (April 1990).- p. 383 - 408.


الباحث

الاسم: علي بن إبراهيم الحمد النملة.

مكان الولادة: البكرية بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية.

تاريخ الولادة: 1372 هـ الموافق 1952/10/19 م.

التعليم العام: الرياض 1377 هـ.

الدراسة الجامعية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المملكة العربية السعودية.
التخصص: اللغة العربية.

الماجستير: جامعة فلوريدا الحكومية بتالاهاساسي في الولايات المتحدة الأمريكية.
التخصص: المكتبات والمعلومات.

الدكتوراه: جامعة كيس وسترن ريزرف بكليفلاند، أوهيو في الولايات المتحدة الأمريكية.
التخصص: المعلومات والمكتبات.

229
• أستاذ: 1417هـ/1997م.


• مدير الشؤون الدراسية بالملحقية الثقافية السعودية في واسينطن، بالولايات المتحدة الأمريكية 1410ـ/1999ـ.

• مدير عام الهيئة العامة لجمع التبرعات للمجاهدين الأفغان 1410ـ/1999ـ.

• عضو مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، 1414ـ/1994ـ.

• وزير العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، 1420ـ/1999ـ - 1425ـ/2004ـ.

• وزير الشؤون الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية، 1425ـ/2004ـ - 1425ـ/2005ـ.

• أستاذ المكتبات والمعلومات بكلية علوم الحاسب الآلي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية 1428ـ/2007ـ.

• عضو عدد من جمعيات القطاع الثالث.

• باحث في الشأن الاستراتيجي والتعبيري والعلاقات الفكرية والحضارية بين الشرق والغرب.

230
الأعمال العلمية:

أولاً: الكتب (تم حساب الطبعة الأولى فقط من كل كتاب).


3 - الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب. بيروت: مكتبة ميسان، 1436هـ/ 2015م - 235 ص.

4 - الاستشراق في الأدب العربي: عرض للنظرات ورصد وراقي للمكتوب. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1414هـ/ 1993م - 270 ص.


مصادر المستشرقين ومصدراتهم:

- ط. 2 - بيروت: مكتبة بيسان، 1432/1011م. 309 ص.

7 - الاستشراق وعلوم المسلمين في المراجع العربية.
- بيروت: مكتبة بيسان، 1432/1010م. 246 ص.

8 - الاستغراب: المَتْنَعُ فيْ فِيْ رُفْحٍ الْغَرْبِ، رُؤِيَّةٌ تَأْسِيْبِيَّةٍ.
- الرياض: مجلة العربية، 1436/2015م. 89 ص. (سلسلة كتاب المجلة؛ 23).

9 - إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي: دراسة تحليلية، ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة.

10 - إشكالية المصطلح في الفكر العربي: الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات.

11 - الالتفاف على الاستشراق: محاولات التنصّل من المصطلح.

12 - تأملات في طريق الدعوة: جولات في الزمان والمكان

232
• التواصل الحضاري بين الأمم في ضوء تناقل العلوم والآداب والفنون. - الرياض: الجمعية السعودية للتاريخ والحضارة، 1436 هـ / 2015 م. - 198 ص.
233
النصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبيل مواجهته.
- 
- 
167 ص.

النصير: مفهومه وأهدافه ووسائله وسبيل مواجهته.
- 
- 
248 ص.

النصير: المفهوم - الوسائل - المواجهة.
- 
5. بيروت: مكتبة بيسان، 1431 هـ/ 2010 م.
- 
270 ص.

16 - ثقافة العبث: سلوكيات عبثية في زمن الفاقة.
- 
الرياض: مكتبة العبيكان، 1428 هـ/ 2007 م.
- 
245 ص.

17 - الجهاد والمجاهدون في أفغانستان: وقفات تقويم.
- 
- 
125 ص.

18 - السعوديون: النبات والنماء.
- 
- 
314 ص.

19 - السعوديون والخصوصية الدافعة: وقفات مع مظاهر التميز في زمن العولمة.
- 
الرياض: مكتبة العبيكان، 1428 هـ/ 2007 م.
- 
245 ص.
20 - الشرق والغرب: محادّات العلاقات ومؤثّراتها.
شرق الغرب: منطلقات العلاقات ومحادّاتها. - ط.

شرق الغرب: منطلقات العلاقات ومحادّاتها. - ط.

21 - صدام الثنائيات: اقتحام الصراع بين الملتقيات.

22 - الصراع العربي في الكويت: فرض الأفكار قسرًا.
الرياض: مكتبة العبيكان، 1416 هـ/ 1995 م. - 152.

23 - صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في
(سلسلة نقد العقل المعاصر).

24 - ظاهرة الاستشراق: مناقشات في المفهوم والارتباطات.
(موسوعة الدراسات الاستشراقية؛ 1).

135


- النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية. ط 3. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1427هـ/2006م. 204 ص.


237
المستشرقون والستة والسيرة في المراجع العربية.

المستشرقون والقرآن الكريم في المراجع العربية.

المستشرقون ونشر التراث: دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر.

مصادر المعلومات عن الأدب الجاهلي: رصد وواقي.

مصادر المعلومات عن الاستشراقة والمستشرقين.
- استقراء للمواقف.

المكتبات والمعلومات السعودية: وقفات صحفية.

238
38- المنهج الاستشراقي في دراسة القرآن الكريم وترجمته معانيه.- الرياض: الجمعية السعودية للدراسات القرآنية، (تبيان)، 1436هـ/ 2015م. - 144 ص.


40- موقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية بين الاستمداد والتأصيل.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، 1433هـ/ 2012م. - 87 ص.


• هاجس المؤامرة في الفكر العربي بين التهويج والتهويل. - ط ٢ - بيروت: مكتبة بيسان، ١٤٣٥ هـ/٢٠٢٤ م. - ٢٤٥ ص.


• وبشّر الصابرين: كلمات في رجال تركوا أثرًا. - ط ٢ - الرياض: المؤلف، ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥ م. - ٢٩٨ ص.


4٦ - الورقة والورّاقون في الحضارة الإسلامية. - ٤ ج. - الرياض: دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥ م. - ١٣٠ ص.


٢٤٠

Infrastructure of Information Needs and Resources in the Country of Saudi Arabia: an Assessment - Ph. D. Dissertation.- Cleveland, Ohio (USA): Matthew A. Baxter School of Information and Library Science, Case Western Reserve University, May 1984. - 280 p. (manuscript)

ثانيًا: مقالات وبحوث علمية: (مرتبة هجائيًا)

1 - الابتعاث مؤثرًا ومحدودًا من محددات العلاقة بين الشرق والغرب. - منتدى أبعاد (شيكاغو 15/12/2013 الموافق 1435/2/12 م). -15 ص.

2 - الاتجار بالبشر: العلاج بالوقاية. - ورقة عمل مقدمة للمجلة العلمية حول مكافحة الاتجار بالأطفال بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض محرم 1427هـ/ فبراير 2006م. -17 ص.

٢٤١
3 - أثر الأستاذ في تلамиذه - مجلة الصلة - 15 (1434هـ) - ص 7 - 9.


9 - الاستشراق مصدرًا من مصادر المعلومات عن العالم 242

10 - الاستشراق والإسلام: مقدمة لنقد وراقي "بليوجرافي". - مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.


243
الاستشراق مصدر من مصادر المعلومات عن التراب.
في: دراسات إسلامية. - بردة: نادي التصيم الأدبي،
١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م. - ص: ٦٩ - ٩٩.

الأستشراق وأصالة علوم المسلمين: الفقه الإسلامي والقانون الروماني. - المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٣٠ هـ. - ص ٤٩.


١٩ - الإصلاح في المجال الاجتماعي في المملكة العربية السعودية: تحدِّيات التطور. - في: الإصلاح في دور الرعاية (محاضرة). جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية/2٤٤


24- أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوّقات
الإفادة منها. - العقيق. - ع ٢٧ - ٢٨ (رمضان - ذو الحجة) ١٤٢٠ ه/ ديسمبر ١٩٩٩ م - ص ٢٥١ - ٢٧٢.


(نشرتها الجامعة في كتاب، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٣ م).

البنية الأساسية لنظام وطني للمعلومات. - مكتبة الإدارة. - مج ١٣ ع ٢ (محرم ١٤٠٦ هـ / أكتوبر ١٩٨٥ م) - ص ٢٦٣ - ٢٨١.

البيئة القانونية والتنظيمية وأهميتها لتحفيز المشاركة في العمل التطوعي. - ورقة مقدمة لملتقى العمل التطوعي ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م - الخبر: الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية، ١/ ٢/ ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م - ص ١٥.

٢٤٦
29- التجهيزات الأساسية للمعلومات - مكتبة الإدارة -
مج 12، ع 2 (جمادي الأولى 1405 هـ / يناير - فبراير 1985 م) - ص 23 - 38.

30- التجارة والمسؤولية الاجتماعية - القصيم -

31- التحالف العربي الياباني في ضوء خصوصية الثقافات: 
البعثات التعليمية بين التأثر والتأثير في ندوة حوار 
الحضارات بين اليابان والعالم الإسلامي - المعهد 

32- التنصير القسري وآثاره في التعذيب على الحريات 

33- تنمية العمل الاجتماعي: تحقيق المسؤولية الاجتماعية 

34- تنمية العمل الخيري - الدوحة: مؤسسة عيسى بن محمد 
آل ثاني الخيرية، 1427 هـ/ 2006 م.

35- تنمية العمل الاجتماعي في دول الخليج العربية بين 
الواقع وتطلعات المستقبل - لندن: مركز الإمارات
للدراسات والإعلام، 1428 هـ/2007 م. ص 43.

التواصل الثقافي العربي الألماني: الاستشراق
أنموذجاً. مجلة المجلة العربية. ع 466 (جمادي الآخرة 1437 هـ/أبريل 2016 م). ص 4 - 10.

الثوابت والاستراتيجيات في الإعلام السعودي. في:

الحوار الحضاري بين الأمم: إسهام الحضارة الإسلامية
في بناء حضارة الأمم من خلال نقل العلوم وصقلها.
المملكة: كلية دار العلوم. ص 47.

خدمات المكتبات والمعلومات في المملكة العربية
السعودية: عرض لما كتب باللغة الإنجليزية. حولية
المكتبات والمعلومات (قسم المكتبات والمعلومات
بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود

خدمات المكتبة للمعاقين في المناطق الصناعية.

خواطر حول إدارة العمل الاجتماعي. الرياض: كلية
248
العربية، يُولأ ١٠/١٤٢٧ هـ الموافق ١١/١١/٢٠٠٦ م.

٢٤٢ - دار الوراق الخليجي - عالم الكتب -

٢٤٣ - الدعاية لِقيامة علم الاستغفار - محاضرة في ديوانة

٢٤٣ - الأستاذ الدكتور سليمان الرحبلي - رحمه الله -

٢٤٣ - المدينة المنورة ٧/٦/١٤٣٥ هـ الموافق ٥/٤/٢٠١٤ م.

٢٤٤ - الدعوة لإعادة النظر في مفهوم التطوّع - الرس: جمعية

٢٤٤ - البر بـالرس، ٦/٢/١٤٣٦ هـ الموافق ١٠/١٢/٢٠١٤ م.

٢٤٥ - رحلات المستشرقين مصدرًا من مصادر المعلومات عن

٢٤٥ - العرب والمسلمين - مجلّة مكتبة الملك فهد


٢٤٦ - صدام الثنائيات: افتتاح الصراع بين ذاك الحين (التراث)

٢٤٦ - وهذا الحين (المعاصرة). - ص ٤٣ - ٤٤. - في: الندوة

٢٤٦ - الدولية الخامسة: تحيين المعرفة وتأصيل الإنسان، ٢٦ -

٢٤٦ - جمادي الآخرة ١٤٣٥ هـ الموافق ٢٧ إبريل

٢٤٦ - ٢٠١٤ م. - الشارقة: مركز الأمير عبد المحسن بن جلوي

٢٤٦ - للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٥ هـ/ ٢٠١٤ م.

٢٤٦ - (سلسلة الندوات، ٥). - ص ٢٩٦


54 - الفكر والعلوم والسلطة - ورقة مقدّمة في ملتقى الأستاذ
معتوق شليبي يوم الجمعة 22/8/2006 الموافق 1427 هـ - ص. 109

55 - كتاب الفوارق النفيسة الباهرة في بيان حكم شوارع القاهرة في مذاهب الأئمة الأربعة لأبي حامد المقدسي (819 - 988) (تحقيق ونشر). - العصور. - م. 34 - ص. 313 - 358


57 - مراصد «بنوك» المعلومات والجامعات العربية. - مجلة المكتبات والمعلومات العربية. - م. 8 - ع. 11 / 1409 هـ / 1988 م. - ص. 5 - 28


59 - مستقبل الكتاب المطبوع. - عالم الكتب. - م. 2 - ع. 3 - ص. 162 - 170 / 1402 هـ / 1982 م.

60 - المسؤولية الاجتماعية: شمولية المفهوم وحدوده المصطلح. - (محاضرة).

251
المؤلفة الاجتماعية للجامعات في مجال تطوير القطاع

الثالث: تطوير العمل الخيري. - ورقة مقدمة لحلقة

النقاش حول تطوير العمل الخيري بكرسي الشيخ
عبدالرحمن الراجحي وعائلته لتطوير العمل الخيري
بجامعة الملك سعود. - الثلاثاء 15/11/1430هـ -

المؤلفة الاجتماعية وشئب الأعمال. - ربيدة: العرفة
التجارية الصناعية، 1434هـ/2013م. - 24 ص. -
(محاضرة).

مفهمة الحماية الاجتماعية وعلاقتها بالتنمية. - ورقة
مقدمة إلى مؤتمر الحماية الاجتماعية والتنمية المنعقد في
1435هـ/2014م. - 12 ص.

المكتبة الافتراضية والتراث العربي. - الدار البيضاء:
الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، 1430هـ/
2009م. - 8 ص.

مناهج التأثير والتآثر بين الثقافات: المثقفة بين شرق
и غرب. - أبها: النادي الأدبي بعسير، 1428هـ/
2007م. - 38 ص. - (محاضرة).

وضمت في مجلة بيادر الصادرة عن النادي الأدبي بعسير.

252
27- منطلقات ثقافية لحقوق الإنسان وإشكالية المصطلح.
باريس: اليونسكو، 5/12/1429هـ - 3/12/2008م.
- ص 27.

28- منهج التأثر والتأثر في العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: حال العرب والألمان.
- 1-3 شعبان الأول 1429هـ/ 9- 11 مارس 2008م.
- المانيا: كلية دار العلوم، جامعة المنها.

29- منهج الدكتور عبدالله بن حمود السمييط.
- 12/1/1376هـ - 10/8/1947م.
- في ريادة العمل الخيري: مؤسسة خيرة.
- في رجل خير.
- جامعة أم القرى.
- مكة المكرمة.
- 5/1435هـ - 2013م.
- ص 15.

30- المواجهة بالمناصحة والرعاية: تجربة المملكة العربية السعودية.
- في: الملتقى العلمي حول دور الرعاية والمناصحة في مواجهة الفكر التكفيري.
- جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

31- الموسيقى الفكريّة: عِبَّادُ الوُهَابِيِّين.
- (محاضرة).
- النادي الأدبي بالرياض.


Cultural Issues in Human Rights and the Vagueness of Terminology. - Perth, Australia: Center for Studies of Muslim States and Societies, University of Western Australia, 2009. - 20 p.


Manpower Deficiency in Saudi Arabia: Its Effect 

254


مرّت حركة الالتفات ثم الالتفاف في مجال الاستشراق على
مسارات سهّة، هي على النحو الآتي:

1. الالتفات الغرب نفسه للتراث العربي الإسلامي، ونقله من
مواطنه، وترجمته بهم، ونشر بعضه، ودراسة بعضه، وحفظ بعضه.

2. الالتفات العرب والمسلمين إلى النقد الموضوعي لإسهامات
المستشرقين السابقين.

3. الالتفات العرب والمسلمين أنفسهم إلى تراثهم بالدراسة
والتحقيق والنشر، بصورة أوسع مما كانت عليه من قبل.

4. الالتفات الاستشراق نفسه إلى ذاته ونقد ذاته، وإعادة ترتيب
أوراقه بما يلائم الحال القائمة.

5. الالتفات العرب والمسلمين إلى فهم الغرب «الأستغراب»، من
حيث تفكيره وتطلعاته ومواجهته من الأمم الأخرى.

6. الالتفات المستشرقين على مصطلح الاستشراق، واللجوء إلى
تفنّي الاستشراق، وتشيّت مهمّاته على حقول المعرفة الأجنبية
واللغوية والاجتماعية.
هذا الكتاب منشور في
شبكة الألوكة
www.alukah.net